الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

البُعد الفكري والحضاري في رسائل عماد الدّين الأصفهاني

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:

* بولودم روقية
* غردة خديجة

إشراف الأستاذة:

* د . وهيبة لماني

أعضاء لجنة المناقشة		
د/ وهيبة لماني	المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة	**مشرفا**
د/ أسماء ياحي	المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة	**رئيسا**
د/ شهرزاد بوسكاية	المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة	**مناقشا**

السنة الجامعية: 2024-2025

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعونه وتوفيقه تُنجز الأعمال وتتحقق الغايات
وبعد، لا يسعنا في ختام هذا العمل إلا أن نتقدّم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لكل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل.

نتقدّم بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذة المشرفة **الدكتورة : وهيبة لماني** على ما قدمته لنا من توجيهات علمية ونصائح قيّمة، وعلى صبرها وتفانيها في متابعة مختلف مراحل هذا العمل، فلها منا كل التقدير والاحترام.

كما نتوجّه بالشكر إلى جميع أساتذة الكلية على ما بذلوه من جهد في تدريسنا وتوجيهنا طيلة سنوات الدراسة.

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى زميلاتنا اللواتي كنّ لنا خير سند، وشاركوا معنا لحظات التعب والجد والاجتهاد

نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به.

رُقيّة & خديجة

إهــداء

وبكل حب أهدي تخرجي إلى:

الذين ضلت دعواتهم تقارب أساميناء إلى ضلعنا الثابت وأماننا الأبدي...

أهدي تخرجي إلى من أحمل إسمه بكل فخر إلى من أحصى الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم.....

أبي الغالـــــــــي.

إلى اليد الخفية والقلب الحنون وصاحبة الدعاء الصادق إلى الإنسانة العظيمة التي لطالما تمنت أن تقر عينها في يوم كهذا.....

أمـــــــــــــــــــــــــــــي الغالية.

إلى ضلعي الثابت وأمان أيامي إلى من شددّت عضدّي بهم فكانوا ينابيع أرتوي منها في خيرة أيامي.....

إخوتـــــــــــي.

لكل من كان عونًا وسندًا في هذا الطريق.....للأصدقاء الأوفياء ورفقاء السنين لأصحاب الشدائد والأزمات.....

فالحمد لله على ما وهبني وأن يجعلني مباركًا وأن يغنيني أينما كنت فمن قال أنا لها نالها وأنا لها وإن أبت رغمًا عنها أتيت بها

فالحمد لله شكرًا وحبًا وامتنانًا على البدء والختـــــــام

وآخـر دعـوانا أن الحمد لله رب العالـمين..

رُقيّة

إهــداء

" وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين "

ـ الحمد لله عن البدء وعند الختام ــ

ــ من قال أنا لها نالها ــ

لقد كانت طريقا طويلة مليئة بالإخفاقات والنجاحات نفخورين بكفاحنا لتحقيق أحلامنا

لحظة لطالما انتظرتها وحلمت بها في حكاية اكتملت فصولها

إلى حبيبتي قرة عيني غلى القلب النابض إلى من كانت دعواتها الصادقة سر نجاحي

ـ أمي الغالية ــ

إلى إخوتي وكل أفراد عائلتي وأقربائي وأصدقائي إلى كل الأساتذة الأفاضل الذين قدموا لنا يد المساعدة

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل وفقني الله وأياكم...

خديجة

مقدمـــــــة

مقدمة:

يُعدّ الأدب الرسائلي من الفنون النثرية الرفيعة التي برزت بشكل واضح في الحضارة الإسلامية، خاصة في العصور العباسية والأيوبية، لما له من دور بارز في التعبير عن القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية بأسلوبٍ أدبي راقٍ .وقد كان لهذا الفنّ وظيفة مزدوجة: توصيل الرسائل الرسمية والخاصة، والتعبير عن مواقف فكرية وعواطف شخصية . كما عُدّ مجالاً رحباً لإظهار البلاغة وفصاحة الكتّاب، فكان مرآةً صادقة لثقافة العصر وهمومه.

وفي هذا الإطار تبرز شخصية عماد الدين الأصفهاني كواحدة من أهم الشخصيات الأدبية والسياسية في العصر الأيوبي .وُلد الأصفهاني في أصفهان عام519 هـ، ودرس في بغداد، ثم التحق بخدمة صلاح الدين الأيوبي ككاتبٍ للإنشاء، فكان شاهداً ومشاركاً في كثير من أحداث تلك المرحلة جمع بين عمق الثقافة، والقدرة البلاغية العالية، والبراعة في نظم الرسائل الرسمية والخاصة، ما جعله نموذجاً بارزاً للأديب–السياسي، وقد عبّرت رسائله عن ثقافة موسوعية ورؤية فكرية عميقة، تجلّت فيها أبعاد حضارية وإنسانية تستحق الدراسة والتحليل.

من هنا جاءت فكرة هذا البحث، الذي قُسّم إلى جزئين رئيسيين: الجزء الأول يتناول البُعد الفكري والحضاري في رسائل عماد الدين الأصفهاني، من خلال تحليل النصوص واستكشاف ما تحمله من رؤى فكرية وأبعاد حضارية. أما الجزء الثاني، فيتعلّق بشخصية الأصفهاني، مساره العلمي والوظيفي، ومكانته بين كتّاب عصره، في محاولة لفهم الخلفية التي شكّلت فكره وأسهمت في نضوج تجربته الأدبية.

تنبع **أهمية الموضوع** من كونه يسبر أغوار شخصية فكرية بارزة في التاريخ الإسلامي الوسيط، ويُبرز كيف أن الأدب الرسائلي لم يكن مجرد أداة تواصل، بل كان وسيلة للتعبير عن فكر الأمة، وصورة من صور الوعي الحضاري.

أما إشكاليّة البحث فتنطلق من التساؤل التالي: **كيف تجلّت الأبعاد الفكرية والحضارية في رسائل عماد الدين الأصفهاني؟ وما مدى تأثير خلفيته الثقافية والسياسية في تشكيل مضمون تلك الرسائل؟**

وقد جاء **اِختيار الموضوع** نتيجة عوامل متعددة، من بينها قلّة الدراسات التي عالجت رسائل الأصفهاني من هذا المنظور الفكري–الحضاري، ورغبتنا في الجمع بين التحليل الأدبي والفكري في دراسة نصوصه، إلى جانب الشغف الشخصي بالأدب الرسائلي في سياقه الحضاري.

ويسعى هذا البحث إلى **تحقيق عدة أهداف**، أهمها:

- تحليل الأبعاد الفكرية والحضارية في رسائل عماد الدين الأصفهاني
- إبراز علاقة الأديب بالمجتمع والسياسة في العصر الأيوبي.
- دراسة شخصية الأصفهاني من حيث التكوين الثقافي والوظيفي.
- تقديم قراءة جديدة لرسائل الأصفهاني تتجاوز الطابع البلاغي إلى التحليل الفكري

فيما يخص وضعية الموضوع مقارنة بالدراسات السابقة، فقد وجدنا **بعض الدراسات** التي ا اِهتمت بجوانب أسلوبية أو تاريخية من أدب الأصفهاني، إلا أن المعالجة من زاوية فكرية وحضارية كانت محدودة .ومن بين الدراسات التي أفادتني:

- رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب: أدب الحرب عند العماد الأصفهاني إعداد الطالب عاهد طه عبد اللطيف عيال سلمان.
- كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي لعماد الدين الأصفهاني.

فقد ساعدتنا هذه الدراسات جمع رسائله واِستخراج منها البعد الفكري والحضاري.

أما **المنهج المتبع** فقد تمثل في المنهج التحليلي الوصفي، بتحليل مضمون الرسائل من حيث البنية الفكرية والدلالة الحضارية، إضافة إلى توظيف المنهج التاريخي والسيّاقي عند الحاجة لفهم أبعاد النصوص في ضوء معطيات عصرها.

وتقوم **خطة البحث** على فصلين:

- الفصل الأول: فن الترسل وتطوره في الأدب العربي.
- الفصل الثاني :قراءة في الأبعاد الفكرية والحضارية في رسائل عماد الدين الأصفهاني.

وقد واجهتنا خلال إنجاز هذا البحث **عدّة صعوبات**، منها ندرة النصوص الكاملة لرسائل الأصفهاني، وتوزعها في مصادر متفرقة، فضلاً عن قلة المراجع التي تناولت فكره بشكل معمق، مما تطلّب جهداً كبيراً في جمع المادة وتحليلها.

وفي الختام، نتوجّه بخالص الشكر والتقدير للأستاذة المشرفة، التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها القيمة وملاحظاتها الدقيقة، والتي كان لها أثر كبير في توجيه هذا العمل نحو مساره العلمي الصحيح، راجين أن نكون قد وفّقنا في تسليط الضوء على هذه الشخصية الفكرية والأدبية الفذة.

الفصل الأوّل

فنّ الترسّل وتطوّره في الأدب العربي

تمهيد:

يُعد فن الترسل أحد الأجناس النثرية التي حظيت باهتمام بالغ في التراث الأدبي العربي، لما يمثله من وسيلة للتخاطب الرسمي والوجداني، ومرآة تعكس التحولات الثقافية والسياسية والاجتماعية في مختلف العصور .ولم يكن الترسل مجرد وسيلة تواصل لغوي فحسب، بل تطور ليصبح فنًا قائما بذاته، تحكمه قواعد بلاغية وأسلوبية، ويعكس في الوقت نفسه ذوق الكتّاب وفصاحتهم وقدرتهم على الإقناع والتأثير.

لقد نشأ فن الترسل في بيئة شفوية تغلب عليها النزعة القبلية، ثم تطور مع نشوء الدولة الإسلامية واتساع رقعتها، فغدا أداة ضرورية في إدارة شؤون الدولة والديوان .وبلغ أوجه خلال العصرين العباسي والأندلسي، حيث تنوعت أغراضه بين الرسائل الإخوانية، والديوانية، والسياسية، والأدبية، وامتزجت فيه الوظيفة التواصلية بالقيمة الجمالية.

وينطلق هذا الفصل من الرغبة في رصد النشأة الأولى لفن الترسل، وتتبع مراحل تطوره التاريخي والفني، مع بيان العوامل التي أسهمت في صقله وتنوع أنواعه، إضافة إلى الوقوف عند أبرز الخصائص الأسلوبية التي ميزته، وذلك تمهيدًا لتحليل نماذج تطبيقية لاحقة تُبرز مدى تطور هذا الفن داخل البنية العامة للأدب العربي.

أولا: مفهوم الترسّل:

1- المعنى اللغوي:

إذا ما نظرنا في المعاجم العربية لاحظنا أن لمصطلح "رسالة" معاني متعددة ومتنوعة، إذا يندرج المفهوم اللغوي لي رسالة تحت الجدر اللغوي "ر **س ل** "، فقد ورد في لسان العرب: "الإرسال، التوجيه وقد أرسل اليه والاسم والرسالة والرسول والترسيل .... والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر والرسول معناه في اللغة أن يتابع أخبار الذي بعثه..."[1].

وورد تعريفها في قاموس المحيط كالآتي: الإرسال، التسليط والإطلاق والإهمال والتوجيه، والاسم الرسالة بالكسر والفتح، والرسالة والرسول أيضا المرسل ج: أرسل ورُسُل وزملاء والموافق لك في النضال ونحوه.[2] وإذا ولينا وجهنا شطر القرآن الكريم فإننا نجد لفظ" رسالة" وردت في الكثير من المواضع في قوله تعالى: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ(151)** ﴾ **البقرة151** ، بمعنى أرسلنا فيكم رسولاً يتلو عليكم آيات مبينة للحق من الباطل. وجاءت أيضا في قوله تعالى: ﴿**فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ(79)** ﴾ **الأعراف 79.** بمعنى طلبهم إلى الهداية وبعث رسالة في الترغيب والترهيب والنضج. وأيضا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)**﴾ **المائدة 67.**

من خلال هذه الآيات الكريمة نلاحظ أن مصطلح رسالة يدل بمعنى الإبلاغ والنقل الشفهي عن طريق الرسل والأنبياء الذين حملوا رسالات ربهم الى البشر.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط3، 1414هـ، ج11، مادة "رسل"، ص: 283 .

[2] محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، مادة" رسل"، ص: 1006.

2-المعنى الاصطلاحي:

لقد تعرض الدارسون قديما لمفهوم الرسالة، حيث أعطوا لها مفهوما خاصا فاختلفت تعريفاتهم حول هذا الفن، ومن ذلك نجد تعريف ابن خلدون الذي يقول: «تعني المخاطبات لمن بعد عن السلطان وتنفيذ الأوامر فيمن حجب عنه"[1]،إن ابن خلدون في هذا التعريف قد ربط مفهوم الرسالة بالرسائل السياسية التي توجه إلى الملوك والخلفاء.

فالرسالة قطعة نثرية فنية تطول وتقصر لمشيئة الكاتب وغرضه، وأسلوبه وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببا، وقد تتميز الرسالة عن جميع الفنون الأدبية الأخرى، وأهم ما يميزها العبارات البليغة والأسلوب الرشيق والألفاظ المنتقاة الجزلة والموجزة، ولطف الخيال والتحرر من قيود الشعر والدقة في التعبير إلى غيرها من المميزات.[2]

كما نجد "أبو الهلال العسكري" في تعريفه للرسالة بين الرسالة والخطبة فهو يرى:" أن الرسالة تقابل الخطبة، فلا فرق بينهما إلا بالتسمية فقط وذلك على أساس تشاكل الألفاظ والفواصل وما إلى ذلك من سهولة وعذوبة وتحرر من الأوزان والقوافي....."[3] ومن خلال تعريفه نستنتج أن الرسالة تقابل الخطبة وترادفها، فلا فرق بينهما في المعنى، فقط في اللفظ يختلفان.

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الواحد علي واقف، دار البيان العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1958، ص22.

[2] محمد لخضر بن ناجي، فن الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال دراسة فنية أسلوبية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، شهادة ماستر، أدب عربي قديم، إشراف محمد بن لخضر فورار،2014.2015، ص: 9.

[3] أبو الهلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي وزملائه، المكتبة العنصرية، بيروت، لبنان، 1419هـ، ص: 435

أما لو نظرنا إلى التعريف الاصطلاحي في كتاب" جواهر الأدب" فنجد الرسالة بأنها:" مخاطبة الغائب بلسان القلم.....، مع تباعد البلاد وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه وبالنسبة بينهما."[1]

وهذا يعني أن القلم هو الوسيلة التي تنقل مشاعر والأفكار بدلاً من الكلام المباشر، وأن تبادل الرسائل المكتوبة هي الوسيلة الوحيدة المتاحة للتواصل مع من تفصل بينهم المسافات، فتكون الكتابة جسر للتواصل بين الناس الذين لا يمكنهم اللقاء شخصياً.

ويقول القلقشندي أيضا في كتابه" صبح الأعشى": وهي جمع رسالة، والمراد فيها أمور رتبها الكاتب، من حكاية حال من عدو أو صيد، أو مدح وتقريض، أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى، وسميت رسائل من حيث إن الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره مخبرًا فيها بصورة الحال، مفتتحة بما تفتتح به المكاتبات، ثم توسع فيها فافتتحت بالخطب وغيرها.[2]

إنّ هذا التعريف يوضح أن الرسالة ليست مجرد خطاب عادي، بل هي نوع من الكتابة الفنية التي تحتاج إلى ترتيب وتنظيم، وتخدم أغراضا مختلفة حسب السياق، وانطلاقا من هذه التعاريف نتوصل إلى أن الرسالة باب من أبواب النثر الفني الجميل.

ثانيًا: نشأة الرسالة في الأدب العربي.

حظيت الرسالة بمكانة مميزة ومرموقة في تاريخ الأدب العربي وتطورت واختلفت بمختلف العصور التاريخية، حيث ارتبطت بالعصر الجاهلي غير أنها لم تكن واضحة للعيان لأن العرب قديما اعتمدوا على الشعر كثيرا ولم يولوا اِهتمامهم بالنثر وحينما وجدوا أنه ضرورة

[1] أحمد الهاشمي، جواهر الادب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ج1، ط27، 1969م، ص: 44.

[2] أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ج14، دط، دت ص: 139.138.

تتطلبها المعاملات التجارية فاضطروا إلى تعلم الكتابة من الأنبار وأول من تعلمها «حرب بن أمية القرشي «وهو جد معاوية بن أبي سفيان.[1] أما الكتابة الفنية في العصر الجاهلي يرى معظم الباحثين أنها لم تعرف غير ما دوّن من بعض المعاهدات، والأحلاف والعقود التجارية.

إن الرسائل المدونة في العصر الجاهلي قليلة جداً، يغلب عليها الإيجاز والتركيز مع سهولة اللغة ووضوح العبارات ومن النماذج الرسائلية في ذلك العصر" رسالة المنذر الأكبر" إلى "كسرى" في الردّ على اِتهاماته للعرب وتفنيد أباطيله فيهم ورسالة" عمرو بن هند" إلى عامله بالبحرين المعروفة بصحيفة" المتلمس" عمه "نوفل بن عبد مناف".

عندما جاء الإسلام تغير الحال وظهرت مفاهيم جديدة إذ كان للقرآن الكريم وأحاديث النبي دور كبير في تطوير النثر ، ومن أهم الرسائل التي دونتها لنا كتب الآداب تلك الرسائل التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل نشر الدعوة الإسلامية، وجل هذه الرسائل وجهها النبي في هذه الفترة الى الحكام والملوك حول عرض الدعوة، كما نذكر على سبيل ذلك رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وكسرى والمقوقس والنجاشي وكان ذلك حوالي القرن السادس للهجرة، وقد تعددت أغراض الرسائل، فلم تعد رسائل للدعوة فقط، وإنما ظهرت الرسائل الحربية والإدارية والسياسية وغيرها من أنواع الرسائل آنذاك.

من رسائله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط يقول فيها: "بسم الله الرحمان الرحيم.... من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط...."[2]

[1] أحمد الإسكندري وآخرون، المفصل في تاريخ الأدب العربي، ج1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005م، ص: 157.

[2] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب ع الجاهلي ع الإسلام، دار المطبوعات العربية للنشر، القاهرة، ج1، ط1، 1937م، ص: 38.

تتضمّن الرسالة أصول الدعوة إلى الإسلام مثل الدعوة الى التوحيد والإستدلال بالقرآن الكريم، حيث كان أسلوب النبي في دعوته واضحًا وافيا يبدأ بالسلام والترغيب قبل التحذير، رغم أن المقوقس لم يسلم لكنه استقبل الرسالة بإحترام وأرسل هدية للنبي تتضمن جاريتين الأولى مارية القبطية التي أصبحت زوجة الرسول والثانية أختها، لكن رغم ذلك تمثل هذه الرسالة جانبًا مهمًا من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للعالم وكانت جزءًا من إنتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية.

جاء العصر الأموي بمرحلة غنية بالمتغيرات سيما في مجال الأدب بشكل عام وفي مجال الرسالة بشكل خاص، حيث عرف العصر بداية لاستقلالية شخصية كاتب الرسالة، بعدما كانت الرسائل في العصر النبوي يغلب عليها طابع الإملاء من الخليفة، وأنشأت لها الدواوين من أهمها نذكر: ديوان الرسائل وديوان البريد الذي وضع أسسه معاوية بن أبي سفيان.

يُعدُّ العصر العباسي نثرًا إمتزجت فيه الثقافات الأجنبيّة المختلفة من يونانية وفارسية وهندية وغيرها...أما صورة الرسالة في هذا العصر فقد تنوّعت ما بين رسائل ديوانية، ورسائل إخوانية، فالأولى كانت كثيرة لكثرة الدواوين في العصر العباسي، فقد حفظ لنا هذا العصر طائفة من الكتاب، وإن " أول كاتب يلقانا في هذا العصر هو الإبراهيم بن العباس الصولي، الذي حرر أكثر ما صدر عن المتوكل من منشورات وكتب ورسائل في الفتوحات، وأيضا عبد الهف بن يحي بن خافان..... والرسالة تخلو من السجع ومحاولة التنميق".[1]

أما الرسالة الإخوانية والأدبية فقد إزدهرت حينّ ذلك إذ إتخذها الأدباء لتصوير عواطفهم ومشاعرهم في "الخوف والرهبة والرغبة والمديح، والهجاء والتهاني والعتاب والإعتذار والإستعطاف والتعزية وبذلك نافست الشعر في مجالاته."[2] الرسالة لم تكن فقط للتواصل، بل

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1973، ص562.

[2] المصدر نفسه، ص: 562.

كانت شكلاً أدبياً يستخدمه الأدباء ليفرغوا ما بداخلهم من مشاعر صادقة، ويعرضوا براعتهم اللغوية، فكانت تمثل العاطفة+ الجمال الفني في آن واحد.

ثالثًا: أنواع الرسائل:

قُسمت الرسائل حسب أغراضها إلى نوعين ديوانية وإخوانية وقد جاء هذا التقسيم حرصًا على التخلص من اِختلافات الدارسين الذين عمدوا على تصنيف الرسائل، إما إلى ديوانية وأدبية أو سلطانية وإخوانية وديوانية أو رسمية وشخصية.[1]

1- الرسائل الديوانية:

هي الرسائل التي يرسل بها الأمراء والحلفاء فيما يخص الشؤون السياسية والدولية وهي تعوض المراسيم والقرارات في العصر الحديث.

تسيطر عليها العاطفة أكثر من العقلانية واللغة الشاعرية أكثر من اللغة الرسمية أو المباشرة إذ يعبر فيها الكاتب عن مشاعره وأحاسيسه بلغة تناسبه وتناسب المقام الذي هو فيه.

من المرجح أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أول من أنشأ ديوان الرسائل وعمل على نشره في سائر الدول الإسلامية. **يقول القلقشندي:** " هذا الديوان أول ديوان وضع في الإسلام وذلك أن النبي صلى الله عليه سلم كان يكاتب أمرائه وأصحاب سراياه من الصحابة ويكاتبونه. وكتب من قرب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام وبعث إليهم رسله بكتبه وهذه الكتابات كلها معلقها ديوان الإنشاء".[2]

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت، ص129. 136.

[2] العباس القلقشندي، كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب الخديوية، دار الكتب السلطانية، ج 10، ص91.

من بين سمات الرسائل الديوانية يقول أحمد الشايب: "يغلب على هذا النوع الدقة والسهولة في التعبير، والتقيد بالمصطلحات الحكومية والمساواة في العبارات من التهويل والتخيل".[1]

وهذا النوع من الرسائل كتبه الرسول صلى الله عليه وسلم كنموذج إلى ملك الروم هرقل يقول: (بسم الله الرحمان الرحيم من محمد إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فاني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسّيين، ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(64)** ﴾ **آل عمران 64.**

من خلال رسالته صلى الله عليه وسلم أنه يدعو ملك الروم إلى الإسلام فاستخدم عبارة أسلم تسلم، بأن الدخول إلى الإسلام سوف يحقق له السلام في الدنيا والآخرة، استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب راقي في التخاطب والدعوة إلى التوحيد بأسلوب واضح وبسيط دون غموض مما يجدب النفوس الباحثة عن الحق.

وفي رسالته يحذره من المسؤولية فإذا رفض ملك الروم الدعوة فإنه يتحمل مسؤولية رعيته والفلاحين لأن الملوك والحكام يتحملون مسؤولية شعوبهم، فهذه الرسالة تعد مثالا رائعا على أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأنه خير مثال يقتدى به.

2- الرسائل الاخوانية:

هي تلك الرسائل التي تختص الرسائل الاخوانية بتصوير عواطف الأفراد وما يحول في نفوسهم مع تميز هذه الرسائل بدقة تصوير المعاني واستخدام أساليب جديدة في التعبير.

[1] أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) مطبعة النهضة القاهرة، ط6، 1996، ص:113.

اِشتهر عدد من الكتاب الذين تميزوا في كتابة الرسائل الاخوانية أمثال: (عبد الله بن المقفع، الجاحظ أحمد بن يوسف، عبد الله بن معتز، محمد بن زياد الحرثي) تطورت هذه الرسائل على أيديهم لأنهم نوعوا في موضوعاتها وتوسعوا فيها.

كتب ابن المقفع رسالة إلى صديق له رزق بمولود يهنئه فيها يقول: " بارك الله لكم في الابنة المستفادة، وجعلها لكم زينًا، وأجرى لكم بها خيرًا. فلا تكرهُها فإنهن الأمهاتُ والأخواتُ، والعماتُ والخالاتُ ومنهن الباقيات الصالحات. ورُبَّ غلام ساء أهلَه بعشرتهم ورب جارية فرَّحت أهلها بعد مُساءتهم."[1]

هذه الرسالة من الرسائل في العصر العباسي التزم بها ابن المقفع أسلوبه المعروف به وهو الإيجار في توصيل غرضه، وعكس لنا فكره العميق، وحكمته في التربية والأخلاق. لقوله تعالى: ﴿الْمَالُ **وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا(46)** ﴾ **الكهف 42.**

حيث يرى أن أساس المجتمع الصالح هو التنشئة الصحيحة وهذه هي نظرة ابن المقفع للحياة والتربية، ومن رسالته نلاحظ أيضا أنه يختار دائما ألفاظ ذات دقة وعناية يغلب عليها العنصر العقلي والفكري على الفني.

فالرسائل الاخوانية ما هي إلا تصوير وتعبير عن العواطف ومشاعر المرسل في تهنئة أو تعزية أو توصية أو عتاب تصور معانيها بدقة وتستخدم فيها أساليب جديدة للتعبير.

3-الرسائل السياسية:

ليست الرسائل السياسية حديثة النشأة والظهور عند العرب وغيرهم، ولكنها قديمة قدم الأمم والحضارات إذ كان الملوك والحكام يتخذونها وسيلة من وسائل الاتصال والتفاهم

[1] أحمد زكي صفوت. جمهرة رسائل العرب. ع العباسي الأول. دار المطبوعات العربية. القاهرة ج 3. ط 1. 1938 ص55.

ويستعينون بها في سلمهم وحربهم، يراد بالرسائل السياسية الكتب التي تكون بين الملوك والحكام والأمراء والولاة والقواد، بمعنى الرسائل ذات الطابع الرسمي التي دعيت في العصور المتأخرة بالسلطانيات، موضوعاتها تلك الرسائل التي تتصل بسياسة هؤلاء وأنظمة حكمهم، وتصريف شؤون الدولة وحكامها وتنظيم العلاقات مع الدول المجاورة.[1]

وقد تعددت الرسائل السياسية بما يخدم سياسة الدولة الخارجية وسياستها الداخلية فمنها ما وجه من الخليفة للسلطان ومنها لملوك البلاد الأخرى. ومن هذه الرسائل الرسائل الملوكية والتي تعد من أهم الرسائل السياسية كونها الحاصلة للتعبير عن السياسة العليا للدولة كصلح أو هدنة أو إنذار بحرب .... حيث كانت ترسل بلسان السلطان إلى غيره من الملوك والسلاطين، ومنها رسالة طلب الصلح أرسلها ملك التتار محمود غزال إلى الناصر قلاون جمع فيها معاني الوعد والوعيد والمصالحة: " بسم الله الرحمان الرحيم وننهي بعد السلام إليه أن الله عز وجل جعلنا وإياكم أهل ملة واحدة، وشرفنا بدين الإسلام وأيدنا.... وسبب ذلك أن بعض عساكركم أغارو على ماردين وبلادها في شهر رمضان المعظم قدره فطرقوا البلاد على حين غفلة من أهلها وقتلوا وسبوا وفسقوا وهتكوا محارم الله بسرعة من غير مهلة .... "[2] ،وهذه الرسالة من الرسائل التي كانت بين الملوك بعد الصلح ودخولهم الإسلام، وأيضا رسائل كثيرة منها رسائل العهود والمبايعات والتقاليد والتواقيع والمراسيم.

4- الرسائل الأدبية:

تمثل الرسائل الأدبية لونا من ألوان النثر الإبداعي، وتشكل مصدرا من مصادر الثراء الفني فمثل هذه الرسائل تعتمد اعتمادا مطلقا على قوة الخيال وتصرف الدهن في التعبير

[1] الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، الدكتور حسين بيوض. منشورات وزارة الثقافة. دمشق سوريا. د.ط. 1992.ص 5.

[2] سلامة هليل عبد الغريب، الرسائل الفنية في العصر المملوكي، دار حامد للنشر والتوزيع، أردن، عمان، ط1، 2024، ص51_52.

فالكاتب في مثلها يطلق العنان لفكره وقلمه، فيترك لذهنه حرية التنقل والوصف دون قيود تفرضها النظرة الديوانية أو الاخوانية.

إن الرسائل الأدبية أكثر ما تتمحور بنيتها عليه عنصر الوصف فهذا الغرض يشكل المادة الأساسية لتلك الرسائل، وهذا الأمر يخضع لمدى تصرف ذهن وفطنة كاتبه حيث يتشكل الوصف حسب ما يرغب في تصويره ذلك الكاتب.

ولهذا أصبحت الرسائل الوصفية من أكثر الرسائل الأدبية شيوعا، حيث تمثلت رسائل الوصف في وصف القادة والجيوش ووصف القلاع والحصون ووصف الخيل ومظاهر حضارة.....[1]، ومن بعض رسائل وصف القادة والجيوش حيث أنشأ محي الدين بن عبد الظاهر في وصف غزوة قام بها السلطان الظاهر لفتح قيسارية رسالة تناول فيها وصف تحركات السلطان بين قادة جيشه وقطاعاته العسكرية وتنقله بين الوهاد والجبال حتى أدرك العدو. حيث جاء في الرسالة قوله: "ولما كان المملوك قد انتظم في سلك الخدم و العبيد.... وتكاد مواطئ خيلنا بما تسحبه أذيال الصوافن تمتحي. تحمل همنا الخيل العتاق، ويكبو البرق خلفنا إذا حاول بنا اللحاق."[2]

حيث أظهر في وصفه دقة كبيرة وصور حركات السلطان وجنوده وهم ذاهبون لقتال العدو، حيث أسرعوا في ملاقاته متخذين كل وسائل النصر والعزة.

5-الرسائل الاجتماعية:

اِهتمت هذه الرسائل بمظاهر الحياة الاجتماعية والصلات الإنسانية بين أفراد المجتمع في شتى المناسبات حيث تعددت الرسائل، فكان منها رسائل المديح ورسائل التهنئة ورسائل الشكر ورسائل التعزية ورسائل العتاب....

[1] سلامة هليل عبد الغريب، الرسائل الفنية في العصر المملوكي، ص: 221.

[2] ينظر: الرسائل الفنية في العصر المملوكي، ص: 222_ 223.

تعطي هذه الرسائل صورة عن واقعية العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر، فالتهنئة لها أثر ايجابي في الافراح والتعزية ترسخ موقف الوقوف بجدية ازاء أحزان الناس ومحاولة التخفيف عنهم، والهدية تزيد من المحبة بين الناس وتدفع لكتابة رسائل الشكر، أما البقية فلها الأثر الكبير في حياة الناس.[1]

وقد كانت الرسائل الاجتماعية فضلا عن أسلوبها الفني البديع تتميز بسمة أدبية دقيقة حيث تبدأ بمقدمة فيها الحمد لله والصلاة على رسول الله وبدايات بارعة تناسب ألفاظها ومعانيها موضوع الرسالة.

ومن أمثلة ذلك رسالة من المديح كتبها شهاب الدين القلقشندي في مدح المقر الفتحي أبي المعالي فتح الله لحصوله على وظيفة صاحب ديوان الإنشاء، تحمل معنى المدح لاستحقاقه هذه الوظيفة عن جدارة. وقد بدأ الرسالة بمقدمة حمد الله عز وجل وشهد له بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، وصلى عليه، ثم انتقل إلى الحديث عن مكانة وظيفة رئاسة ديوان الإنشاء وفي الأخير يعتذر عن تقصيره وعجزه عن إيفاء الممدوح حقه من الثناء والشكر: «الحمد لله الذي جعل الفتح محط رحال القرائح الجائدة ومستقر نواها ... ولإخفاء أن صاحب ديوان الإنشاء من هذه الرتبة بالمحل الأرفع، والمنزلة التي تدافع ولا تدفع، والمقام الذي تفرد بصدارته...."[2]

6- الرسائل الحربية:

قد تعددت أغراض الرسائل الحربية وتنوعت بحسب المواقف التي تمليها طبيعة الظروف الحربية السائدة ومن الأغراض المهمة التي طرقتها الرسائل الحربية اسداد النصائح المختلفة للقادة وتوجيههم إلى ما فيه سلامة الجيش وتحقيق الظفر ومن هذه الرسائل ما كتبه الأمير

[1] فن الرسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية، رشا فخري النحال، الجامعة الإسلامية . غزة . درجة الماجستير في الأدب والنقد، كلية الآداب قسم اللغة العربية، إشراف عبد الخالق محمد العف، 2013. 2014، ص: 79.

[2] صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس القلقشندي، نسخة الطبعة الأميرية وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف، د.ت، د.ط، ص: 191.

عبد الله بن محمد إلى قائده أحمد بن محمد يحثه على التوكل على الله والثقة به، ويدعوه إلى أخد الحيطة والحذر من العدو. حيث يقول:" وأما بعد، فالتزم التوكل على الله تبارك وتعالى. والثقة به في جميع أمورك، وما أتت بسبيله تعزك فإنها حرز من كل ضر يتقى، وبلاغ لكل خير يرتجى، وكن من التحفظ في أيام عيدك على أحسن الذي يجب عليك به الأخذ والتحفظ فيه فالله خير حافظ، وهو أرحم الراحمين"[1].

ومن هذه الرسائل أيضا تلك الرسالة التي وجهها الحكم المستنصر إلى قوَّاده في العدوة المغربية وفيهم يوصيهم الوصايا العسكرية التي تكفل لهم النصر، وتؤمّن لهم سلامة الجند، ويدعوهم إلى إذكاء العيون وبث الجواسيس لاستطلاع أحوال العدو "إن أفضل ما احتمل عليه وعمل به استشعار الحزم، وادراع التحفظ، واستنصاح الاتهام، وادكاء العيون، وبث الجواسيس والاستكثار منهم ومن حملة الأخبار حتى لا يحظى لحسن أهلكه الله حركة ولا يتوارى له مذهب"[2].

رابعًا: أساليب الترسل عبر العصور.

1- فن الترسل في العصر الجاهلي:

العصر الجاهلي هو الفترة الزمنية التي عاشها العرب داخل الجزيرة العربية والتي تقدر بقرنين قبل الإسلام، وقد قسم المؤرخون العصر الجاهلي إلى قسمين الجاهلية الأولى وهو زمن لم يصل منه شيء وهو زمن غابر وبعيد، أما القسم الثاني فقد إتفقوا بتسميته الجاهلية الثانية وهو القسم الذي لم يصلنا من أدبه شيء وكانت الكتابة موجودة فيه بصورة ساذجة دون تعقيد وتأنق ودلك لحياة العرب البسيطة، إن أغلب رسائل هذا العصر كانت شفهية

[1] فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1989، ص: 129 ـ 130.

[2] المصدر السابق، ص:129- 130.

شعرية أو نثرية متمثلة في القصص أو الخطب لعدم اِنتشار الكتابة، لذا كان الأسلوب الشائع للرسائل هو حفظ الرسالة واستظهارها في الصدور وتناقلها شفاهة على الألسنة.

وهناك من أكد عدم وجود فن الترسل في العصر الجاهلي وأرجع سبب قلة استعمال الكتابة وصعوبة وسائلها، حيث يقول الدكتور شوقي ضيف:" العرب استخدموا الكتابة في العصر الجاهلي لأغراض سياسية وتجارية لكنهم لم يخرجوا بها لأغراض أدبية خاصة تتيح لنا أن نزعم أنه وجد عندهم لون لا يجد لرسائل كنوع من الكتابة الفنية"[1] .

2- فن الترسل في عهد الرسول(ص).

لقد اِختلف أسلوب الرسائل في عهد الرسول عما كان فيه في العصر الجاهلي، فقد كان هدف الرسائل النبوية الدعوة إلى اعتناق الإسلام وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم عدد من الملوك والرؤساء عدة رسائل منها:

أ) رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك الفرس:

وفيه:" بسم الله الرحمان الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأندر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، أَسْلم تُسْلمْ فإن أبيت فإن عليك إثم المجوس"[2]، فلما وصله الكتاب مزّقه استكبارا ولما بلغه الرسول(ص) ذلك قال" مزّق الله مُلكه"، اِفتتح الرسول (ص) بالرحمة والسلام ثم التحية بعبارة" سلام على من اتبع الهدى" وهي عبارة استخدمها النبي في معظم رسالته إلى غير المسلمين ثم الدعوة إلى الإسلام حيث ان الرسالة تتضمن الدعوة المباشرة إلى الإيمان بالله ورسوله وتوحيده وفي الأخير من الرسالة حذّره من العواقب، إذا رفض كسرى الإسلام فإنه سيكون مسؤولا عن خطيئة قومه(المجوس) لأنه قائدهم.

---

[1] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط1، ص: 398.

[2] محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين دار الفاروق للنشر والتوزيع القاهرة مصر،2022، د ط، ص201

ب) رسالة إلى المنذر بن سارى

وجّه عليه أفضل الصلاة والسلام العلاء بن الخضرمي بكتاب إلى المنذر بن سارى ملك البحرين، يدعوه فيه إلى الإسلام وفيه:" بسم الله الرحمان الرحيم أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، ذمة الله وذمة الرسول، ومن أحب ذلك من المجوس فإنه آمن ومن أبى عليه الجزية، فأسلم"[1].

وكتب في رد الجواب: "أما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأحبه ودخل فيه ومنهم من كره وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إليَّ في ذلك أمرك".

فكتب إليه عليه الصلاة والسلام" بسم الله الرحمان الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليكم فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد فإني أذكرك الله عزوجل فإنما من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنما من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرًا، وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك، من أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية"[2].

بدأ النبي محمد(ص) بتحية المنذر وثنائه عليه ثم دعاه إلى توحيد الله والإيمان برسالته، وأكد أن طاعة الرسول واتباع أوامره تعني طاعة الله وبين أن من يستجيب فله الخير.

وأثنى النبي صلى الله عليه وسلم على حسن تصرفه بناءً على ما نقله له العلاء بن الخضرمي وفي الأخير أكد له أنه طالما استمر في الإصلاح فلن يتم عزله عن منصبه،

[1] المصدر نفسه، ص: 183

[2] المصدر السابق، ص: 184

فهذه الرسالة تعكس أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في التواصل مع القادة بأسلوب يجمع بين الحكمة واللين وهو أحد أسباب انتشار الإسلام سلميا في مناطق مختلفة.

3- الترسل في عصر الخلفاء الراشدين.

لقد سار الخلفاء الراشدون على نهج الرسول(ص) في مخاطبتهم إذ امتاز أسلوب رسائلهم الي قادتهم وعمالهم بما يأتي:

1-ابتداء أغلب الرسائل بالبسملة وهو أسلوب كان يفعله الرسول في المخاطبات والمكاتبات وإرسال الرسائل فقد روي عن رسول الله أنه قال:" كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمان الرحيم فهو أقطع ". ومثل هذه الرسائل رسالة عبيدة عامر بن الجراح إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنهما.

2- اِستخدام ألفاظ التحميد في الرسالة بقولهم الحمد لله وهذا أبضا من الأساليب التي استخدمها الرسول(ص) فكان بعد أن يستعمل البسملة يحمد الله كثيرًا ثم يكمل الرسالة ومن أمثلة هذه الرسائل رسالة يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.[1]

3- اِستخدام لفظة أما بعد وتعني الانتقال إلى الكلام المراد توضيحه أو كتابته وأحيان تستخدم قبل لفظة الحمد الله وأحيان العكس.

4- هناك بعض الرسائل يبدأ صاحبها بعد البسملة بلفظة (السلام عليكم) وهو أيضا من أساليب الرسول (ص) في المخاطبات وهو دكر التحية لم يريد أن يرسل له ويختتم الرسالة أيضا بتحية الإسلام. وبلفظة السلام عليكم ومن أمثلة دلك رسالة أبي عبيدة ابن الجراح إلى عمر بن الخطاب.

5- وبعض الرسائل تضمنت آيات قرآنية للاِستدلال على أمر من الأمور وبعضها تضمنت أحاديث نبوية، وبعضها اِشتمل على كتابة بعض الأمثال لتوضيح الصورة

[1] محمد بن سعد بن منيع زهري، الطبقات الكبير، ج1، ص: 258

إلى المرسل إليه وبعضها تضمنت أبيات من الشعر، وبعضها لم تتضمن سوى متن الرسالة، أو ما هو مطلوب من المرسل إيضاحه إلى المرسل إليه، فمثلا تضمنت آية قرآنية الواردة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ(91)** ﴾ **سورة المائدة: 91.**

6- من أساليب الرسائل أن بعضها تضمنت الدعاء من المرسل إلى المرسل إليه اِمتثالا لحديث الرسول(ص) (الدعاء مخ العبادة) وإنه جزء من رسائل النصر في أمور الحياة المختلفة ومثال ذلك رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح والتي يقول فيها (أوصيت بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه، الذي هدانا من الظلال وأخرجنا من الظلمات إلى النور)[1].

خامسًا: الترسل في العصر الأموي

تعد الرسائل في العصر الأموي فنا عربيا نثريا، عرف مند أقدم العصور وما زالت أهميته قائمة إلى زماننا هذا، فقد ظهر فن الرسائل في العصر الأموي بعد انتهاء الخلافة الراشدة وبدأت الخلافة الأموية وأدت إلى ظهور طبقة من الكُتاب الذين يمتلكون قوة الأسلوب والثقافة الواسعة، أمثال : الكاتب عبد الحميد بن يحي وأبو العلاء سالم بن عبد الله وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وغيرهم وقد تمت هذه المراسلات السياسة بين الحزب الأموي الحاكم والأحزاب المعارضة، كالشيعة الخوارج والزبيرين ومن أهم خصائص العصر الأموي ما يلي :

1- استخدام الجمل الدعائية والاعتراضية : حيث لعبت دورا مهما في الخطاب السياسي والديني للتأثير على الرأي العام وتتوزع بين الشعر والنثر وتتضمن الاقتباس والتضمين سواء كان من القرآن الكريم أو من غيره أو يكون مسجوعا يحتوي على المحسنات البديعية

[1] ابن سعد، الطبقات، ج1، ص: 258

واللفظية و من أمثلة ذلك رسالة الحجاج بن يوسف إلى قطرى بن الفجاءة:" سلام عليك ، أما بعد فإنك مُرتَبُ الدين، مروقُ كالسهم من الرمية ، وقد علمت حيث تجرثمتَ، ذاك إنك عاص لله وولاة أمره غير أنك أعرابي جلف أمي ، تستطعم الكسرة وتستشفى بالتمرة، والأمور عليك حسرة ، خرجت لتنال شيعة ، ملحق بك طعام صلوا بمثل ما صليت به من العيش فهم يهزون الرماح ويستنشئون الرياح ، على خوف وجهد من أمورهم وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته ثم أهلككم الله بترحتين ، والسلام"[1].

2- الإطالة في الكتابة :هو أرجع ذلك إلى الجدال السياسي بين الأحزاب المختلفة حيث نجد الطبري يصرح بأن عمرو بن نافع كاتب عبيد الله بن زياد أول من أطال في الكتب وكانت هذه الظاهرة من الغرابة عن العرب، وقد أخدت هذه الظاهرة تتطور وتفشو، حتى أننا نجد عبد الحميد في آخر هذا العصر يكتب رسالة يقال أنها استوعبت مجاميع ضخمة من الصحف[2].

3- **الاقتباس من القرآن الكريم** :من يتصفح هذه الرسائل لهذا العصر يجد أن بعض الكتاب يضمَّنون رسائلهم بآيات قرآنية والتحميد وتأَثُرهمْ بها واقتباسهم منها وهذا ما يضفي عليها سمات الرفعة والجزالة والرونق كي يعينهم ذلك على توصيل أفكارهم ودعمها بالحجج القرآنية[3].

4- **الوضوح** :مما تميزت به رسائل هذا الطور الوضوح الذي كان عبارة عن استعمال التعبير الكلامي على مقتضى النظامين النحوي والصرفي مع الابتعاد عن التعقيد والتنافر وقد كانت هذه الخاصية شائعة لدى كثير من كتاب الرسائل السياسة في العصر الأموي

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي الإسلامي، ط7، دار المعارف القاهرة مصر، 1119، ص: 457

[2] حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة مصر، ط1، 2002، ص: 76_ 77.

[3] المصدر نفسه، ص: 79

وفي كل قطر بنيان، و تدابي الله أن يكون للكفرة منها جنان أمكنتها محرمة وأروقتها مرحمة وحقودها الرسائل في العصر العباسي

سادسًا: الترسل في العصر العباسي.

شهد العصر العباسي ازدهارًا علميًا وأدبيًا انعكست آثاره على الرسائل الأدبية في ذلك العصر، وقد شهد تطورًا كبيرًا يعكس الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في ذلك العصر، ومن أنواع الرسائل في العصر العباسي ما يلي:

1- الرسائل الديوانية:

هي تلك التي تصدر من الديوان في أمر من أمور الدولة ويقوم بكتابتها أبلغ الكتاب وذلك على لسان الخليفة، أما الإخواني الذي يصدر عن الديوان فهيو ما يتبادله الخلفاء فيما بينهم أو ما يصدر إليهم من مُكاتبات تحمل معنى الإخاء بعيدًا عن شؤون الدولة، فهي أفسح مجالًا من الرسائل الرسمية.

وقد تناولت هذه الرسائل بعض المواضيع التي كانت موضوعًا للشعر، مثل التهنئة، والتعزية، والشكر .وتفنن الكتّاب في كتابتها ومقدماتها .ومن الأمثلة على ذلك رسالة بعث بها ابن العميد إلى أحد خلفاء الدولة العباسية وهو عضد الدولة عندما رزق بتوأمين.[1]

2| الرسائل الإخوانية:

وهي نوع من أنواع الرسائل في العصر العباسي يتبادلها الأفراد والأصدقاء والناس عام، وهذا النوع أقرب إلى الأدب وإيحاءاته اللفظية والأسلوبية، ومن موضوعاته :النصح والعتاب والتهنئة والشكوى والاستعطاف والاعتذار....

[1] أسماء عبد الرؤوف فن الرسائل في العصر العباسي، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، الدراسات العليا قسم الدراسات الادبية النقدية، 2009، ص: 73، 74

يقول القلقشندي في شأنها:" ولها موقع خطير من حيث أنها يشترك الكافة في الحاجة إليها، والكاتب إذا كان ماهرًا أغرب معانيها ولطّف مبانيها، وتسهل له فيها مالا يكاد يتسهل في الكتب التي لها أمثلة ورسوم لا تتغير ولا تتجاوز"[1].

3- خصائص الرسائل في العصر العباسي:

1) اللفظ والمعاني:

تتسم الرسائل في العصر العباسي بجزالة اللفظ وقوة المعنى، إلا أنها تتمايز فيما بينها تبعاً لاختلاف المواضيع، ومن هنا يأتي دور الكاتب في اختيار الألفاظ والمعاني التي تتناسب مع موضوعه الذي يريد[2].

2) الاقتباس:

المتتبع لرسائل العربية يجد أنهم كانوا يزينون رسائلهم باقتباسات من القرآن ومعانيه، وذلك لجمال أسلوبه وقوة حجته، تيقناً منهم بتأثيره على مسامع المتلقين.

أما في العصر العباسي، وبالوقوف على الرسائل التي تعرضنا لها نرى ميلاً من الكتّاب إلى الاقتباس وتزيين رسائلهم ببعض الآيات سواء أكانت صريحة أو بالإيحاء من معناها، ففي رسالة الخميس التي كتب بها أحمد بن يوسف لتأييد الدعوة العباسية نجد أنه قد أكثر فيها من الاستشهاد بالقرآن الكريم، وذلك في قوله : ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ**...﴾ [3]"...الروم -47.

[1] المرجع نفسه، ص: 95_ 96

[2] المرجع نفسه، ص: 130.

[3] المرجع السابق، ص: 137

3) السجع والتوازن:

السجع لون من ألوان الأداء يزيد به الكلام جمالاً وحسناً، ويضفي إليه رونقاً وطلاوة، والسجع هو أحد الجوانب المهمة في التصنيع، وزخرف في الأساليب منذ بدايات القرن الثاني الهجري في مكاتبات بني العباس، ثم اتسع استخدامه في القرن الثالث الهجري.

4) التخييل والتصوير:

أصبحت الرسائل العباسية حافلة بالصور البيانية والمحسنات اللفظية والمعنوية، وكل الأساليب البلاغية التي يلعب فيها الخيال دوره، ثم يأتي دور الكاتب ومقدرته على استخدام تلك الوسائل البلاغية في تصويره الفني.

5) الإيجاز والإطناب:

وقد كثر الإطناب في رسائل العصر العباسي، وكان له مقاماته، فمن المقامات التي تعد إطناباً تلك الكتب التي تُقرأ على العامة، ومنها المنشورات التي تقرأ لشرح مذهب سياسي أو أمر ديني، وكذلك كثر الإطناب في تفصيل الانتصار على الأعداء[1].

6) الاستشهاد بالشعر:

نجد أن الكتّاب العباسيين قد أكثروا من الاستشهاد بالأشعار في مراسلاتهم، مما يضفي على المعنى طلاوة ووضوحاً، ويكسبه قوة في إيصال ما في خاطر الكاتب، وقد بالغ بعضهم حتى أصبحت الرسائل الشعرية أكثر من النثرية[2].

[1] المرجع السابق، ص: 151

[2] المرجع السابق، ص: 161

خلاصة:

بعد التعمّق في دراسة فن الترسل في الأدب العربي من خلال تحديد مفهومه، واستعراض أنواعه، وتتبع نشأته وتطوره التاريخي، وتحليل أساليبه، يتضح أن الترسل لم يكن مجرد وسيلة تواصل كتابي، بل شكّل فناً قائماً بذاته، له بناؤه الجمالي ووظيفته الاجتماعية والسياسية والثقافية، فقد اتسم الترسل منذ ظهوره بالقدرة على التعبير عن الحاجات الفردية والجماعية، متخذاً أشكالاً متعددة تتراوح بين الرسائل الإخوانية، والدنيوية، والسياسية، والتعليمية، وغيرها.

لقد ساهمت التحولات الكبرى التي عرفها المجتمع العربي عبر العصور، من الجاهلية إلى العصر العباسي، ثم الأندلسي فالعثماني، في صقل هذا الفن وتطويره، حيث انتقل من البساطة إلى التعقيد الفني، ومن التعبير التقريري إلى التعبير الإبداعي الذي يحمل سمات البلاغة والبيان.

أما أساليب الترسل، فقد تنوعت بتنوع الأغراض والمقامات، فتميّزت الرسائل بأساليب لغوية تراوحت بين الخطاب الرسمي الموشّى بالجزالة والرصانة، والخطاب الإخواني الذي يغلب عليه الطابع الإنساني والوجداني .هذا التفاوت الأسلوبي يعكس مدى اتساع رقعة الترسل وانفتاحه على مختلف ضروب التعبير العربي.

وقد قال **القلقشندي** في" صبح الأعشى "مبرزًا أهمية الرسالة: "**الرسالة هي ديوان البلاغة، ومعيار الفصاحة، وموضع امتحان القرائح، ومجال التصرف في أنواع البديع**"، وهو قول يختصر ببلاغة عميقة ما بلغه هذا الفن من نضج وثراء.

وبناءً على ما سبق، يتبيّن أنّ فن الترسل كان ولا يزال مجالاً حيوياً لفهم البنية الثقافية للعرب، ومرآةً صادقة تعكس تطور الذوق الأدبي والواقع الحضاري للأمة .ومن هنا، فإنّ العناية بهذا الفن في البحث الأكاديمي تمثل خطوة ضرورية نحو استيعاب أحد أبرز روافد النثر العربي الكلاسيكي، الذي جمع بين الوظيفة والجمال في آنٍ معاً.

الفصل الثاني

قراءة في الأبعاد الفكرية والحضاريّة في رسائل عماد الدين الأصفهاني

تمهيد:

إنّ الرسالة الأدبية، بما تحمله من طاقة تعبيرية وبلاغية، كانت ولا تزال إحدى أبرز الأجناس النثرية التي مارسها الأدباء والكتاب في مختلف العصور، خاصة في الفترات التي شهدت تحولات سياسية وصراعات حضارية، جعلت من الكلمة أداة دفاع ومقاومة، بل وشهادة حضارية موثقة .ومن هذا المنطلق، تحتل رسائل عماد الدين الأصفهاني موقعًا متميّزًا ضمن هذا السياق التاريخي والأدبي، إذ لم تكن مجرد وسيلة مراسلة، بل صارت وعاءً حاملاً لوعي فكري، وتصوّر حضاري، وموقف ثقافي صريح من قضايا الأمة، في مرحلة مفصلية من تاريخ الإسلام.

لقد كتب عماد الدين الأصفهاني في زمن اشتدت فيه المواجهة بين العالم الإسلامي والغزو الصليبي، فتجلّت في رسائله رؤى متقدّمة تنبض بالحس التاريخي والانتماء الحضاري، حيث عكست نصوصه موقف المثقف المسلم الذي لا يقف على هامش الأحداث، بل ينخرط فيها بقلمه وفكره وخطابه .ومن خلال تتبع هذا الأثر الأدبي، يظهر أن الأصفهاني لم يكن مجرد كاتب ديوان، بل كان مؤرخًا ومفكرًا وأديبًا يُدرك خطورة الكلمة، ويُوظّفها في تثبيت مفاهيم الهوية والوحدة والبطولة الإسلامية، مستنفرًا الذاكرة الدينية والتاريخية للأمة، كما أن القيمة الفنية لرسائله تضاهي مضمونها الفكري، إذ نجد أنفسنا أمام نثر فني محكم، يستثمر إمكانات اللغة العربية وبلاغتها، وينفتح على التراث النصي الإسلامي من خلال التناص مع القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي، في أسلوب تتواشج فيه الفكرة مع الجمالية، وتتداخل فيه الرسالة مع المقام، والخطاب مع الرؤية لذلك، فإن هذا الفصل يسعى إلى قراءة رسائل عماد الدين الأصفهاني قراءة تحليلية تتجاوز الظاهر إلى باطن المعنى، وتستجلي ما فيها من أبعاد فكرية وحضارية، وتجليات فنية، تُسهم جميعها في تقديم صورة واضحة عن الكاتب من جهة، وعن لحظة تاريخية حرجة من جهة أخرى.

أولاً: التعريف بشخصية عماد الدين الأصفهاني.

1.1 نسبه مولده ووفاته:

هو محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن آله، الكاتب الأصفهاني المعروف بابن أخي العزيز.[1]

ولد العماد بأصفهان بلاد فارس يوم الإثنين، ثاني جمادى الآخرة سنة (519هـ تسع عشرة وخمسمائة هجرية)، إلى بغداد وهو في سن العشرين، فانتظم في سلك المدرسة النظامية، ودرس على يد أساتذتها المختلفين الفقه والحديث والخلافة وبرع أثناء ذلك في نظم الشعر وأتقن النحو والأدب والعوم العربية، وتعلّم علم الكلام وذاع صيته في علم الترسل وولاّه الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة نظر البصرة، ثم نظر واسط، ولما توفي الوزير ابن هبيرة سنة561هـ فقد العماد مكانته وأودع السجن، ومع أنه أطلق سراحه بعد ذلك فلم يستطع أن يسترد مكانته بالعراق، فأنتقل إلى دمشق وهناك قدمه كمال الدين قاضي قضاة دمشق إلى نور الدين محمود ابن زنكي فعيّنه في ديوان الإنشاء سنة 563هـ وبقي فيه حتى نقل إلى وظيفة أخرى في سنة 567هـ تتناسب مع نشاطه العلمي قبل قدومه إلى الشام، وهي وظيفة الأستاذية بالمدرسة النورية الشافعية، داخل باب الفرج والتي نسبت إليه لسكناه بها فقيل لها العمادية، ثم ولاه في السنة التالية الإشراف على ديوان الإنشاء، واتصل بالقاضي الفاضل بعد أن بلغه أن صلاح الدين استولى على مصر وتوسط في أمره عند صلاح الدين فعينه لينوب عن القاضي الفاضل وليحمل عنه بعض أعباء وظيفته واكتسب خطوته من جديد، ومن ذلك التاريخ لازم العماد صلاح الدين في رحلته وإقامته وقام له بمثل ما كان القاضي

[1] العماد الأصفهاني، محمد بن محمد، خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر، تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج1، ص: 3

الفاضل يقوم به من أعمال وأصبح عشير صلاح الدين ويده اليمنى في جميع أعماله الإدارية السياسية والحربية، بل في أخص الشؤون العائلية للأسرة الأيوبية.[1]

توفي عماد الدين الأصفهاني في أول شهر رمضان عام 597هـ ودُفن في مقابر الصوفية بدمشق.

2.1 أعماله ومؤلفاته:

عرف العماد الأصفهاني أنه من أبرز الأدباء المؤرخين في العصر الأيوبي، حيث عرف ببلاغته وكتاباته الأدبية والتاريخية، حيث يعد من أبرز كتاب عصره وذلك بتميزه بفخامة اللفظ والتكلف أحياناً في الصناعة البلاغية، كما عرف بلقب كاتب الدولة الأيوبية ومن أبرز مؤلفاته ما يلي:

- الفتح القسي في الفتح القدسي، فهو تاريخ سبع سنوات من حياة صلاح الدين الأيوبي وهو العام الذي فتح صلاح الدين فيه المقدس، والقاضي الفاضل هو الذي أطلق عليه هذه التسمية فسماه الفتح القدسي نسبة إلى بيت المقدس، والفتح القسي نسبة إلى قس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب في الجاهلية، كان القس معروفا بالسجع، وكان العماد الأصفهاني قد جعل كتابه هذا سجعاً من أوله الى آخره، فاستحسن القاضي الفاضل هذه التسمية وقصْده منها أن الله فتح على العماد في سجعه كما فتح على قس بن ساعدة من قيله في السجع والبلاغة أيضاً.[2]
- وللعماد له مؤلف آخر له طابع أدبي وهو كتاب "خريدة القصر وجريدة العصر"، وهو تراجم لأدباء مصر والشام والمغرب والعراق والجزيرة ممن عاصروا العماد، وهو من

[1] عماد الدين الأصفهاني الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص5.

[2] العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص: 6_ 7

أهم مصادر الأدب والتراجم في القرن السادس للهجري، ومن كتبه أيضا "رسالة العتبى والعقبى" عن الأحداث تلت بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي حتى سنة 592هـ.[1]

- أيضا البرق الشامي والفترة التي يشملها تبدأ سنة562هـ وتنتهي عند وفاة صلاح الدين وهذا الكتاب أكبر حجماً من كتاب الفتح القسي وأوسع مجالاً، فالفتح القسي موجود بكثرة مخطوطا ومطبوعاً، أما البرق الشامي فلا يوجد منه إلا مخطوطة للجزأين الثالث والخامس.
- يليه كتاب "نصرة الفترة وعصرة الفترة" وهو تاريخ السلاجقة ووزرائهم وترجمة مختصرة بأسلوب إنشائي مسجوع، للكاتب الفارسي وقد اختصره أبو الفتح البنداري في كتاب سماه "زبدة النصرة ونخبة العصرة" وله ديوان شعري وديوان الرسائل .... وغيرهم من الكتب المتبقية.

ثانياً: البعد الفكري والحضاري في رسائل عماد الدين الأصفهاني.

1- مفهوم البعد:

أ) لغة: ورد مصطلح البعد في لسان العرب لابن منظور في باب "الباء" مادة **بَـــعُـدَ:**[2]
البعد: خلاف القرب: بَعُدَ الَّرجل بالضم. وبَعدَ بالكسر بُعْدًا وبَعدًا فهو بعيدٌ وبُعَادٌ.

وينشد قول النابغة:

فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النُّعْمَانَ، أن لَهُ فَضْلاً عَلَى النّاسِ فِي الأَدْنَى وَفِي البَعَدَ

أما في معجم محتار الصحاح للرازي في مادة (ب.ع. د) في قوله :" والبُعد ضد القرب والبُعد أيضا الهلاك وبَعُدَ استبعدهُ بعيداً وأما أنت ببعيد ، ويستوي فيه الواحد والجمع والأبعاد ضد الأقارب "[3].

---

[1] المصدر السابق، ص: 7_ 8.

[2] ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، (د، ت)، ص:336.

[3] محمد بن أبي بشر: مختار الصحاح ، دار الفكر للطباعة و النشر ، لبنان ط1، 2007 ص: 23.

ومن شواهد استخدام المصطلح في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿**أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ(95)** ﴾ سورة هود الآية 95. والمعنى الذي دارت في فلكه هنا هو الهلاك أو الإغتراب.

وقال مالك بن الريب المازي:

يقولون: لا تَبْعَدْ وهم يَدْفِنونني وأينَ مكانُ البُعدِ إلا مَكانيا

والبعد والبعاد: اللعن منه أيضا.

ب) إصطلاحا:

لا يبتعد هذا المعنى عن المعنى اللغوي، فالمراد بالبعد مصالح العباد الدنيوية والشرعية، التي جاءت الشريعة والمجتمع لتحقيقها والحفاظ عليها في استقامة وتوسط مراعية بذلك ما هو في صالح الفرد والمجتمع، أخلاقيا، دينيا، إجتماعيا، ثقافيا، فكريا.[1]

ومن خلال هذه التعاريف فكلمة "البُعْد" في هذا الموضوع قد دلت على معاني متعددة هي خلاف القرب وضده وأيضا ذلت على الهلاك أو الإغتراب وعلى اللعن.

ومنه نجد أيضا أن البُعد هو بُعد النظر بمعنى عمق التفكير، وبُعد الهمة أي علوها وبُعد الشقة، أي اتساع المسافة والفجوة، وبعد ثقافي وبعد حضاري، بعد فكري، بُعد إيديولوجي ومعنى هذا كله الرؤية أو النظرة.

2) مفهوم الفكرة:

أ) لغة: جاءت مادة " فكر" في لسان العرب بمعنى إعمال الخاطر في الشيء، قال سيبويه: ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر، قال: وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكاراً، والفكرة: كالفكر وقد فكر في الشيء.... ورجل فكّيْرٌ: كثير الفكر.[2]

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص:91.

[2] لسان العرب، ابن منظور: مادة (فكر) ج5، ص 65

وفي المعجم الوسيط: الفكر مقلوب الفرك، لكن يستعمل الفكر في الأمور المعنوية وهو فركُ الأمور وبحثها للوصول إلى حقيقتها.[1]

وقد وردت مادة فكر في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعا ولكنها بصيغة الفعل ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر: قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ **فَكَّرَ وَقَدَّرَ(18)** ﴾ سورة المدثر 18. أي فكر فيما أنزل على عبده محمد صلى عليه وسلم وقدَّر فيما يقول فيه وقال تعالى: ﴿**أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ(50)** ﴾ **سورة الأنعام –50** أفلا تتفكرون في آياتي الله لتبصروا الحق فتؤمنوا به.

وقال أيضا في موضع آخر فكَّر في أمر ينظر كيف يدبره، ويقال منه قوله تعالى: ﴿**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ(89)** ﴾ **الصافات**، يعني تفكرَّ ما الذي يصرفهم عنه إذا كلفوه الخروج معهم كذا قال الحسن في تفسيره.

إن الفكر والفكرة اسم من التفكير أي التأمل والمصدر الفكر هو إجمال الخاطر في الشيء، والفكر في الشيء تقديره وقياسه وما يطلق عليه النظر، ويقابل الحدس الذي هو سرعة انتقال الدهن من المبادئ الى المطالب.

ب) اِصطلاحا:

يمثل الفكر جملة من القيم والتمثيلات والأحكام العقلية والبناءات المهنية، وهو بالنسبة للشعوب والأمم حصيلة لتراكم جانب التطبيقي عبر مدة زمنية، بما يجسد الجانب النظري، فيما يتمثل الجانب التطبيقي في المنجزات والاِبتكارات ونظام الحكم، وطرائف العيش، وسبل تطوير الحياة وتحقيق التقدم أي أنه بمثابة تفعيل وإفراج للنظريات والأداء من عالم الأفكار إلى عالم الواقع، وهو إما أن يراد به الكيفية التي يدرك بها الأنسان حقائق الأمور التي يعمل

[1] ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، طبعة المكتبة الاسلامية إسطنبول، تركيا، ط2، ج2، مادة (فكر)، د.ت، ص 698.

فيها عقله، فيكون الفكر عنده بمثابة الأداة أو الآلية في عملية التفكير، وما يلحق بها عن طاقات وقوى وملكات عقلية ونفسية، وإما أن يراد به ما نتج عن ذلك من تطورات وأحكام ورؤى حول القضايا المطروحة.

وقد تضيق دائرة مفهوم الفكر حتى تنحصر في مجرد النظر العقلي في أمر ما فيكون الفكر عندئذ منسوبا إلى مبدأ، أو مذهب، أو طائفة أو أمة، أو دين.

فالمعنى الكيفي للفكر المتمثل في حركة الذهن للانتقال من المعلوم إلى المجهول، ونحو ذلك من التعبيرات المختلفة التي تؤدي المعنى نفسه وهو ما استخدمه الأقدمون مثل: **(ابن سينا والرازي)** وابن خلدون ولخصها الجرجاني في تعريفه بقوله" **الفكر ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول**".[1]

3) مفهوم الحضارة:

أ) المعنى اللغوي:

جاء في معجم الوسيط: الحاضرة: القوم الحضور، وحضارة الشيء: القريب منه في التنزيل العزيز: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ**﴾ **الأعراف 163**، وخلاف البادي، وهي المدن والقرى والريف، والتجارة الحاضرة: ما يباع نقدا يدا بيد. وفي التنزيل العزيز ﴿**إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ**﴾ **البقرة 282**.[2]

والحضارة في اللغة أيضا مشتقة من الفعل حضر، والحضور ضد المغيب والغيب، (عكس فعل غاب)، ويقال: حضر يحضر حضورا وحضارة، وكلمته بحضرة فلان وبمحضر منهم أي بمشهد منه.[3]

---

[1] د. سمير مثنى علي الأبارة: تعريف الفكر، مقال بتاريخ: 29|10|2016، اطلع عليه بتاريخ 02|03|2025، متوفر على الرابط:/http//www alakah.net/culure/0/18911

[2] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005، ص: 181.

[3] لسان العرب، إبن منظور، بيروت، دار صادر، ج 4، ص:196.

ومنه فان الحضارة بفتح الحاء وكسرها لغة تعني: الإقامة في الحضر والحضر خلاف البدو.

ب) المعنى الاصطلاحي:

لقد عرفها علماء الإِجتماع، بانها الحالة الراقية التي تكون عليها الأمم تحت تأثير العلوم، والصنائع والفنون والأخلاق، والشعارات العامة لتلك الأمة ..... فإذا أردنا ان نعرف الحضارة فإننا نقول: إنها الحالة الراقية التي تكون عليها الأمم تحت تأثير المعتقدات، والعلوم، والصنائع والفنون، والآداب العامة.[1]

ينبني مفهوم الحضارة عند مالك ابن نبي بأنه مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة..... فالمدرسة والعمل والمستشفى والأمن..... تمثل جميعها أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي اليه، حيث بهذا المفهوم الشامل حدد بن نبي مفهوم الحضارة ولا تستطيع أمة من الأمم أن تخلق حضارة إلا إدا توفرت جميع هده الشروط.[2]

أما إبن خلدون فقد عرف الحضارة بأنها:" تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من الطابخ والملابس والمباني والأفرشة وسائر عوائد المنزل وأحواله."[3]

في حين يعرّفها **wool Durent (وول ديورانت)** بأن:" الحضارة نظام اِجتماعي يعيين الإنسان على الزيادة من انتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد

---

[1] محمد حسن هيتو، الحضارة الأسلامية والحضارة المادية المعاصرة، دار الفرابي للمعارف، سوريان دمشق، ط1، 2011، ص:11.

[2] نزهة حنون، ملامح الحضارة في فكر مالك ابن نبي، مجلة روافد، جامعة ام البواقي، الجزائر، مجلد06، عدد خاص، 2022، ص:380.

[3] إبن خلدون، تاريخ إبن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة جمال لطباعة والنشر، ج1، دت، ص: 144.

الإقتصادية، النظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، بأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء... "[1].

وهدا يعني أن الحضارة في نظره ليست مجرد رفاهية مادية بل تشمل كل ما يساعد الإنسان على تحسين حياته سواء من خلال الاستقرار الإقتصادي والسياسي أو القيم الأخلاقية والسعي نحو المعرفة.

وكتعريف شامل يمكن القول أن الحضارة تمثل جملة مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني، التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة مثلا كالحضارة الصينية والحضارة الفرعونية .....

ثانيًا: نمادج تطبيقية من رسائله.

1) الوحدة الإسلامية / التفرقة والتعصب:

يعتبر الفتح القسي من أبرز المصادر الدينية والتاريخية التي تصف البعد الديني في رسائل عماد الدين الأصفهاني، حيث أنه يصور الجهاد ضد الصليبيين ليس كعمل سياسي فقط بل كواجب ديني ويقدمه في إطار ديني تعبُّدي، ويصور لنا صلاح الدين الأيوبي كمجاهد في سبيل الله وبطولاته في سبيل الدين والإسلام ويظهر أن الدين هو المحرك الأول له، حيث يستخدم العماد الأصفهاني آيات قرآنية وأحاديث نبوية ومقدسات إسلامية دينية مما يضفى على سرده طابعا دينيا قويا يعكس رؤيته الإسلامية للأحداث، ونرى ذلك في قوله عن صلاح الدين الأيوبي: "وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الأقوى، والمسجد الأقصى المؤسس على التقوى، وهو مقام الأنبياء، وموقف الأولياء، ومعبد الأتقياء، ومزارُ أبدال

[1] وول ديورانت، قصة الحضارة، ج1، المجلد1، بيروت، لبنان، دار الجيل، زكي نجيب محفوظ ص: 03.

الأرض وملائكة السماء، ومنه المحشر والمنشر، ويتواضع إليه من أولياء الله بعد المعشر وفيه الصخرة التي صينت جدة إبهاجا من الأنهاج ومنها منهاج المعراج"[1].

من خلال هدا القول يتجلى لنا أن المَقْدس كان حدثا دينيا بامتياز مما يعكس البعد الحضاري للدين الإسلامي.

"عانى المسلمون في نهاية القرن الخامس الهجري وبداية القرن السادس الهجري، من تمزق سياسي طول نواحي حياتهم جميعها فقد واجه المسلمون في هذا العصر خطرين عظيمين، لا يقل أحدهما عن الآخر إذ التقى على حربهم الصليبيون القادمون من أوروبا، المدعومون بكل الإمكانيات المادية والبشرية، ويتمثل الخطر الآخر في حكام الدويلات الإسلامية الممزقة في بلاد الشام والجزيرة.

ومع تزايد هذين الخطرين، ظهرت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، إذ بدأ المسلمون يستشعرون مدى الخطر الهائل أمامهم، وأخذوا يعملون على توحيد صفوفهم، ولم شملهم لمقاومة الدخلاء وطردهم من ديارهم وكانت ردة الفعل هي ظهور عماد الدين زنكي وابنه نور الدين، وصلاح الدين الأيوبي، الذين أخلصوا النية في الجهاد وسعوا إلى بناء قوة إسلامية قادرة على تحقيق مصلحة الأمة، لأن وحدة الأمة وتماسكها تعني نهاية العدو الصليبي" [2]، يجسد لنا هذا القول من الناحية الدينية أنه من خلال شعورهم بالخطر المحدق بالعالم الإسلامي خاصة، دافعا للجهاد وإنقاذ الموروث الديني من التحريف الباطني أو الغزو الإلحادي، وبدأت الدعوات تظهر لتوحيد صفوف المسلمين وتذكير الأمة بواجبها الديني في الجهاد والدفاع عن الأرض والعقيدة وقد ظهر في القرن السادس الهجري بروز قادة يحكمون الدولة أو دولا بكل معنى الكلمة في جوانبها الإدارية والسياسية و الدينية، أمثال

[1] العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص: 69.

[2] عاهد طه عبد اللطيف عيال سلمان، أدب الحرب عند العماد الأصفهاني، جامعة مؤتة عمادات الدراسات العليا، درجة دكتوراه في الأدب، إشراف الأستاذ الدكتور سمير الدروبي، 2011، ص:34

عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود والقائد الشهير صلاح الدين الأيوبي الذي استطاع توحيد مصر والشام ومؤسس الدولة الأيوبية.

وقد شارك العماد الأصفهاني أدباء عصره في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، ومما يمثل الدعوة إلى الوحدة الإسلامية قصيدة أنشأها العماد يهنئ فيها نور الدين بملك مصر، ويتغنى بالوحدة بين مصر والشام يقول: [1]

بملك مصر أهني مالك الأمم فاسعد وأبشر بنصر الله عن أمم
أعز الفرنج فهذا وقت غزوهم واحطم جموعهم بالذابل الحطم
فملك مصر وملك الشام قد نظما في عقد عز من الإسلام منتظم

يعبر العماد الأصفهاني فرحته وبهجته بانتصار نور الدين معبرًا عن الروح الإسلامية التي كانت تسود تلك الفترة الصعبة، وتبرز دور العماد في توثيق الأحداث التاريخية ومبشرا بمستقبل مشرق للأمة الإسلامية.

2) الوعي بالصراع بين المسلمين والصليبيين:

بعد فترات الزهو والانتصار التي عرفها العالم الإسلامي، بدأ الوهن يدب في أوصاله منذ القرن الحادي عشر الميلادي، في جناحه الشرقي خلافتان إحداهما عباسية سنية في بغداد والأخرى فاطمية شيعية في القاهرة وولاء المسلمين موزّع بينهما، وقد أنهكتهما مشاكلهما الداخلية ،حيث باتتا عاجزتين على حماية حدودهما، وحد أطماع الطامعين فيها من قوى محلية وخارجية تمثلت بالصليبيين والبيزنطيين، ولم يكن الغرب الإسلامي بأفضل حال فقد كان هو أيضا يعاني من الانهيار بسبب تفككه إلى دويلات، الأمر الذي أدى إلى الطمع في طرد المسلمين نهائيا من الأندلس.[2]

[1] المصدر نفسه، ص: 35

[2] العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص: 9

وإذا كان الصليبيين قد نجحوا جزئيا في تحقيق أهدافهم واستطاعوا إقامة مملكة في القدس وإمارات ثلاث في الرها وأنطاليا وطرابلس، فإن نجاحهم هذا لا يعزى إلى وفرة عددهم وامتدادهم بل يعود أساسا إلى تفرق كلمة المسلمين وضعف الخلافتين الفاطمية والعباسية.[1]

هذا الانقسام بين المسلمين إلى جانب التنافس بين القوى الإسلامية المختلفة، جعل من السهل على الصليبيين استغلال الوضع والانقضاض على مدن الشام وفلسطين واحدة تلوى الأخرى، فلو كان المسلمون آنذاك موحدين وتحت راية قوية لما استطاع الصليبيون تحقيق هذا النجاح المؤقت.

شهد العماد الأصفهاني كثيرًا من الوقائع الحربية بين المسلمين وأعدائهم، بسبب علاقته ببطلين من أبطالها هما: نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، ورسم صورًا دقيقة للجيش الإسلامي يخوض المعارك كما أنه شاهدها، ففي سنة568هـ انتصر المسلمون بقيادة نور الدين زنكي على الفرنجة، فطلب نور الدين من العماد وصف ما رآه من بطولة وشجاعة.[2]

فقال مصورًا أحداث المعركة:

كم وقعة لكَ بالفرنج حَديثُها قد سارَ في الآفاق والبُلدان
ومَلكتَ رقَّ ملوكهم وتركتهمْ بالذّلّ في الأيقاد والأسْجان
وجَعلتَ في أعناقهم أغلالهُمْ وسجنْتهم هونصا على الأدقان
إذ في السوابغ تحطم السَّمر القنا والبيضُ تخضَبُ بالجَّيع القاني
وكأن بين النَّقع لمعُ حديدها نارٌ تألَّقُ من خلال دُخان
غطَّى العجاجُ به نجوم سمائه لتنوبَ عنها أنجمُ الخُرصان[3]

[1] المصدر نفسه، ص: 14

[2] أدب الحرب عند العماد الأصفهاني، ص: 44

[3] المصدر نفسه، ص: 44

وهنا العماد يتفاخر بإنتصارات هذا القائد في معركته ضد " الفرنج" ويشَّهر بهذه الوقائع حتى انتشرت وذاع صيتها في العالم الإسلامي.

خاض المسلمون العديد من المعارك دفاعًا عن مقدساتهم، ومن أجل طرد المحتلين من ديارهم، وظهر صدى هذه الوقائع الحربية عند العماد الأصفهاني بشكل صادق، حيث نقل لنا أحداث المعارك الخالدة في التاريخ الإسلامي، ومنها معركة حطين في سنة 583هـ التي حقق فيها المسلمون انتصرًا مدّويًا على الصليبيين.

يصف العماد الليلة التي سبقت هذه المعركة، وقد ركز على الجانب الديني في تصويره حال العسكر الإسلامي قبّيل المعركة، فالجنود يكثرون من التكبير، وينتظرون المعركة بفارغ الصبر، ويتلهفون على الشهادة في سبيل الله.[1]

وفي وصف ذلك يقول:" وأما عساكرنا فإنها اجترأت، ومن كل ما يعوقها برئت، فهذا لسنانه شاحذ، وهذا لعنانه آخذ، وهذا سهم مفوّق، وهذا شهم موفَّق، وهذا مكثر للتكبير، ومنتظر للتبكير، وهذا تاج للسعادة، وهذا راج للشهادة، فيا الله تلك من ليلة حراسها الملائكة، ومن سُحرة أنفاسها ألطاف الله المتداركة".[2]

يظهر العماد من خلال قوله حماسة الجيوش الإسلامية وتحررهم من كل المعيقات واندفاعهم نحو المعركة بعزيمة وإقدام بعد التوكل على الله.

إن بعد كل معركة تنكشف الهزائم فتكون إما نصرا أو هزيمة، وبعد كل هزيمة في صفوف المسلمين، فإننا نجد في أدب العماد ما يواسي المسلمين ويحثهم على الجهاد من جديد، حيث كتب العماد مواسيًا صلاح الدين:" وإن ذهبت مدينة فلم يذهب الدين، وإن غاض معين

[1] أدب الرحلة عند العماد الأصفهاني، ص: 49 ، 50

[2] المصدر نفسه، ص: 50

فما غاب المعين، وإن ارتاب المبطلون فما فارق الحق اليقين....، وإن ادلهَّم الديجور، فلا بد أن يسفر عن الصبح الدجى، ولا يشمت عدو الإسلام بما جرى."[1]

يواسي العماد صلاح الدين بعد كل هزيمة بأن الهزيمة ليست النهاية وإن ذهبت مدينة لاتهم قدر أن يهم الدين فبالدين ننهض ونحيا من جديد فهو قدوتنا الأولى.

3) صورة البطل المسلم:

تجلت صورة البطل المسلم لدى العماد الأصفهاني في شعره ونثره، من خلال تمجيد القيادات الإسلامية، ورسم الصورة المثلى للقائد المسلم، خاصة في كتاباته ودواوينه التي وثق فيها أحداث الحروب الصليبية وسير السلاطين والقادة المسلمين، وعلى رأسهم صلاح الدين الأيوبي ونور الدين زنكي، بكل ما يتحلو به من صفات وفضائل وعدل ورحمة، وذكاء وحكمة، وزهد وتواضع.

تتمثل البطولة في الفضائل والقيم العليا في المجتمع، لذا كان أدب العماد يصور البطل ويسبغ عليه الصفات التي تجعل منه المثل الأعلى في المجتمع الإسلامي، والشجاعة من أبرز هذه الصفات، حيث تشمل قوة العزيمة وثبات القلب، والإقدام وقوة الإحتمال، والفتك بالأعداء، وقد ظهرت هذه الصفات في صورة البطل التي رسمها لنا العماد.[2]

في قوله واصفًا القائد نور الدين زنكي بأنه غالبًا للملوك وفارسًا للفرسان وحائزًا للفخار، مستمدًا القوة والعزيمة من الرحمان، يقول:

يا غالب الغلب الملوك وصائدَ ال صّيد الليوثَ وفارس الفرسان
لم تلقهم ثقةً بقوة شوكة لكن وثقت بنصرة الرحمان
مازال عزمُك مستقلاً بالذي لايستقلُ بثقله الثّقلان [3]

[1] المرجع نفسه، ص: 57

[2] أدب الحرب عند العماد الأصفهاني، ص: 94

[3] المصدر نفسه، ص: 94

وهنا العماد يتغنى بقوة وشجاعة القائد نور الدين زنكي، بأنه فارس الفرسان وسيد المحاربين وأعظمهم بأسًا ومقامًا.

وفي وصفه له أيضًا بأنه تميز عن ملوك عصره بالعفة والتقوى، حيث يقول في ذلك:" وكان ملكها والذي يتولى ممالكها، الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي أعفُّ الملوك وأتقاهم، وأثقبهم وأنقاهم وأصلحهم عملا وأنجحهم أملا وأرجحهم رأيا وأوضحهم آيًا، وهو الذي أعاد رونق الإسلام إلى بلاد الشام، فاستفتح معاقلها واستخلص عقائلها."[1]

ويتحدث العماد عن كرم صلاح الدين الأيوبي وكثرة عطائه، فقد صوَّر العماد مجلس لصلاح الدين في مدينة دمشق، واستقباله للأكابر والأفاضل من أهلها، وفي ذلك يقول العماد: "وجلس يومًا آخر للأكابر والأماثل، والأكارم والأفاضل، فأضاء النادي، وفاضت الأيادي، وغدق الندى، وصدق الهدى، وكرَّ الكرم، وفرَّ العدمُ، وحفل البدر، وذرّ الحفل، وشمل النظام وانتظم الشمل، وصان العلماء بالبذل، وأعان بأفضاله أعيان أهل الفضل، وفاز بالحمد وحاز الثناء، وأجاز الشعراء، وأكرم الكرماء، وروّج الرجاء، وأولى النعماء، ونعّم الأولياء."[2]

بالرغم من القوة والشجاعة وعَظَمَة الفروسية وعطاء وكرم وعفة الأبطال، إلا أن العماد لا ينتهي عن التغني بمحاسن أخرى مثل التبرع بالغنائم يعد الانتصار، والنفقة من الهدايا التي كانت تصل إلى صلاح الدين في عمارة المساجد، وهذا يدل على زهده في الدنيا وابتغاء مرضاة الله عزوجل فيما يفعله، وأن هذه الفضائل التي رسمها لنا العماد للبطل قد جعلت منه رمزًا للأمة، يمثل لها النصر والخير.

[1] الفتح بن علي البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق فتيحة النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، ص: 16

[2] أدب الحرب عند العماد الأصفهاني، ص: 97

4) صورة بيت المقدس:

من وصف الأصفهاني للبيت المقدس " والمسجد الأقصى المؤسس على التقوى، وهو مقام الأنبياء، وموقف الأنبياء ومعبد الأتقياء، ومزار أيدال الأرض وملائكة السماء ومنه المحشر والمنشر، ويتوافد اليه من أولياء الله بعد المعشر وفيه الصخرة التي صينت جدة ايهاجًا من الانهاج، ومنها منهاج المعراج، ولها القبة الشماء التي على رأسها كالتاج، وفيه ومض البارق ومضى البراق، وأضاءت ليلة الإسراء بحلول السراج المنير فيه الآفاق ومن أبوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله إلى الجنة بالدخول الخلود، وفيه كرسي سليمان ومحراب داود وله عين سلوان التي تمثل لواردها من الكوثر الحوض المورود وهو أول القبلتين، وثاني البيتين، وثالث الحرمين وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي أنها تشد إليها الرحال ويعقد بها الرجاء الرجال، ولعل الله يعيده بنا أحسن صورة كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه في أول سورة، وقال عزوجل: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**﴾ **الإسراء 01.**

وله فضائل ومناقب لا تحصى، وإليه ومنه كان الإسراء ولأرضه فتحت السماء، وعنه تأثر أبناء الأنبياء، وآلاء الأولياء ومشاهد الشهداء، وكرامات الكرماء، وعلامات العلماء، وفيه مبارك المبار، ومسارح المسار، وصخرته الطولي القبلة الأولى، ومنها تعالت القدم النبوية وتوالت البركة العلوية وعنها صلى الله عليه وسلم بالبنينَ، وصحب الروح الأمينَ، وصعد منها إلى أعلى عليينَ، وفيه محراب مريم عبيها السلام الذي قال الله فيه ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا**﴾ **آل عمران37.**

ولنهاره التعبد ولليله المحيا، وهو الذي أسسه داود وأوصى ببنائه سليمان ولأجل إجلاله أنزل الله سبحانه، وهو الذي افتتحه الفاروق وافتتحت به سورة من الفرقان، فما أجله وأعظمه وأشرفه وأفخمه، وأعلاه وأجلاه، وأسماه وأسناه، وأيمن بركاته وأبرك ميامنه، وأحسن حالاته

وأحلى محاسنه، وأزين مباهجه وأبهج مزاينه، وقد أظهر الله طوله فيقول:﴿ **الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ الإسراء -1** [1].

يصور لنا الأصفهاني في كتابه الفتح القسي في الفتح القدسي، وصفًا بليغًا ومؤثرًا لبيت المقدس ويبرز في هذا الوصف المكانة الدينية والروحية للمدينة، وأنه مكان مبارك ارتبط بالأنبياء عليهم السلام وأنه منزل الأنبياء ومكان الطهر والعبادة والموضع الذي أسرى إليه رسولنا الكريم ومسرى روحه الشريف ومعراج الملائكة ومجمع الأرواح النبوية. كما يبرز لنا الأصفهاني الجوانب المعمارية وكيفية بنائه مشيرًا إلى الجمال المعماري، ويظهر كيف أن المسلمين أعادوا للمدينة رونقها الإسلامي بعد أن كانت تحت سيطرة الفرنج.

5) وصف مصر مطلع البدور:

ومن رسائله في وصف فضائل مصر يقول فيها :" وأنا مبتدئ بالديار المصرية لامتزاجي بأهلها وابتهاجي بفضلها، واطلاعي على فضائلها، واضطلاعي بفواضلها، ودخولي إليها في خدمة سلطانها وخروجي منها يشكر إحسانها، ومقامي أترفرف على محاسنها، وأترشف من عذبها وآسيقا، وأتحلى بعقود جواهرها، وأتولى من سعود زوارها".[2]

أ) صفات مصر وأهلها:

"مصر مربع الفضلاء، ومرتع النبلاء، مطلع البدو وموضع الصدور، وأهلها أذكياء أذكياء يبعد تقوالهم وأعمالهم العين والعياء، لا سيما في هذا الزمان المذهب ولة مولانا المالك الناصر صلاح الدين والدين، سلطان المسلمين، أبي المظفر يوسف بن أيوب ".

[1] عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص: 69

[2] العماد الأصفهاني، جريدة القصر، ج1، ص03.

ب) أثر صلاح الدين في مصر :

"ففي أيامه الزاهرة ودولية القاهرة شرقت الأرض بنور ربها، وهيت الأرياح من معيها، ورفعت معالم العدل والعلم، وخضعت الجهل والظلم، واتصنع الحق، واتضع الباطل، من العالم وذل الجاهل"[1].

الشرح:

يبين العماد الأصفهاني في فرحته بمصر واختلاطه بأهلها ومدى مرفه فضائلها، حيث جاء مصر في خدمة سلطانها صلاح الدين الأيوبي، فأكل من أجمل طعامها وشرب من عذب مائها، وتزين بحليها وملأ عينيه من جمال نجومها الزاهرة المتلألئة، إن مصر مليئة بالفُضلاء والكُرام والعلماء الذين ينيرون العالم بعلمهم، وفيهم الوجهاء الذين يتصدرون المجالس وهم أذكياء ظاهرون، أفعالهم صحيحة وأقوالهم واضحة فصيحة، وصف صلاح الدين الأيوبي الذي صلح به أمر الدنيا والدين، ففي عصره أضاءت الأرض وهبت الرياح، وانتشر العمل والعلم، وانمحى الجهل والظلم، وظهر الحق وزهق الباطل[2].

ج) أهم سمات أسلوب الكاتب:

- سهولة الألفاظ ووضوح المعاني والفكرة .
- قصر الجمل والفقرات .
- التأثر بالقرآن الكريم .
- الاعتماد على الأساليب الخيرية .
- كثرة المحسنات البديعية كالطباق والسجع.

[1] المصدر نفسه، ص 03.

[2] العماد الأصفهاني جريدة القصر، ص 3. 4.

ويتجلى البعد السياسي عند العماد الأصفهاني في وصفه الدقيق إلى المدن و العمران في ما يسمى" الرسائل الوصفية"، وذلك عندما رآها وفتحها صلاح الدين، فصوّرها ببراعة تدل على مقدرته الكبيرة في اختيار الألفاظ ووضعها في جمل معبرة عن الغرض حيث يقول في وصف صَرْفَنْد : " فصرفنا الأعنة إلى صرفند، وأتْمنا في مسارحها الجند وهي مدينة لطيفة على الساحل، مورودة المناهل، ذات بساتين وأزهار ورياحين، وأشجار وأترنج، تعرب مسرَّاتها لجناتها عن الأشجان فحسن خلالها، وراقتنا وشاقتنا تلك الحالة والحلية، وقَرّتْنا بما اشتهينا من فواكهها تلك القرية "[1].

فهذا النص يعكس أسلوب العماد الأصفهاني المزخرف والبلاغي، حيث يظهر مدى إعجابه بجمال هذه المدينة، ووصف مباشر يدل على أن صَرْفَنْد كانت مدينة ساحلية محببة النظر.

فالوصف هو أحد أبرز سمات العماد الأصفهاني، فقد تميز بطابع بلاغي قوي، يمزج بين الفخامة اللغوية والدقة في تصوير المدن والعمران، مقتدرًا بقلمه السيّال لتغطية الموضوعات. التي جسدها في رسائله الوصفية :الطبيعة والمظاهر الحضارية والأبراج والمدن وغيرها يظهر فيها مهارة في التشبيه والتعبير معًا، وقد كتب في:

1) وصف الأبراج :" استنفد الفرنج أموالهم في عدد أعدوها، وآلات أجدوها، وأحكموا أبراجًا شامخات و مجانيق شادخات، وزاد غرامهم بالغرامات ، واستقلوا على عمل الأبراج كثرة الخسارات، ومكثوا مدة على لجاجهم يطرقون بين أيدي أبراجهم.... وأشرفوا منها على سور البلد بأسوار ذات أسواء وجاءوا بآلات حلات وأدوات أدواد، وأشفى البلد من بلائها وأشفق و لمع نور البصر الساطع من خلال ظلمة ذلك الدخان ، وكما قال الله تعالى:﴿ **يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ(35)** ﴾ **الرحمن35.**

[1] العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص31.

تقدم المشركون بالأبراج إلى البلد فقربوا الأسواء من أسواره وألصقوا منها جدرانا بجداره وأشرف الثغر على الخطر، فأظهر الله ما كان خفيا من سر أقداره وأحرق عمل أهل النار بناره ".[1]

يستخدم الأصفهاني في وصفه للأبراج تشبيهات مستمدة من الطبيعة والجبال والكواكب ليجعل منها رموزا للقوة والجمال العمراني.

2) وصف مدينة اللاذقية:

أما في وصفه اللاذقية (جبلة) وتناسق مبانيها قائلا: "ورئيتها بلدة واسعة الأفنية، جامعة الأبنية، متناسية المعاني ، قريبة المجاني رجيبة الموانئ ، في كل دار بستان وفي كل قطر بنيان ، وقد أبي الله أن يكون للكفرة منها جنان أمكنتها محرمة وأروقتها مرخمة وعقودها محكمة ومعالمها معلمة ودعائمها منظمة ومساكنها مهندسة ومهندمة وأماكنها ممكنة ومحاسبنها مبينة ومراتبها معينة وسقوفها عالية وقطوفها دانية وأسواقها فضية وآفاقها مضية ومطالعها مشرقة ومرابعها مونقة وأرجاؤها فسيحة وأهواءها صحيحة ، لكن العسكر شعت عمارتها، وأذهب نضارتها، وأزعج سكانها، وأخرج قاطنيها".[2]

لقد كان العماد الأصفهاني بارعًا في وصف المدن حيث تميز أسلوبه بالجزالة والبلاغة والدقة في التصوير الفني فكان يصف المدن من زوايا متعددة يمزج فيها بين الجغرافيا والعمران و التاريخ والأروقة ويصف الأبنية والجوامع، والأسواق ويبرز أهمية المدينة في التاريخ و دورها، وهذا الوصف يبرز جمال المدينة الطبيعي وموقعها الاستراتجي ويعكس أسلوب العماد الأصفهاني الأدبي.

[1] عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي: 201_202

[2] المصدر نفسه، ص.130

خلاصة:

كشفت القراءة التحليلية لرسائل عماد الدين الأصفهاني عن حضور قوي للأبعاد الفكرية والحضارية، تجسّدت في دفاعه عن القيم الإسلامية الكبرى كالوحدة، والعقيدة، والجهاد، وبرزت من خلال توظيفه للأدب كأداة توجيه وتوعية وتعبئة، ولم تكن رسائله مجرّد صيغ بلاغية موجهة للتواصل الرسمي، بل كانت نصوصًا مشحونة برؤية فكرية ذات عمق، تُعالج قضايا كبرى من موقع الوعي بالتحولات الحضارية والصراعات المصيرية.

وقد بيّنت الدراسة أن الأصفهاني لم يُهمل الجانب الفني، بل أولاه عناية بالغة، فجاءت رسائله محكمة البناء، متينة الأسلوب، مليئة بالزخارف البلاغية والمزاوجة بين المعنى والفن، دون أن تنزلق إلى التكلّف أو الابتذال، كما دلّ الحضور القوي للتناص في رسائله على عمق ثقافته وسعة اطلاعه، وقدرته على تفعيل التراث في خدمة قضايا الحاضر.

أما النماذج التطبيقية فقد أظهرت أن الرسائل كانت أداة لبناء الوعي الجماعي، وتقديم صورة مثالية عن البطل، وعن المدينة الإسلامية كرمز حضاري، فضلاً عن الرسائل الوصفية التي كانت تعبيرًا عن حسّ جمالي وتوثيقي متميّز.

وعليه، فإن رسائل عماد الدين الأصفهاني تشكل وثيقة فكرية وحضارية وأدبية ذات أهمية مزدوجة، فهي من جهة تُسهم في فهم أدب الرسائل في العصر الأيوبي، ومن جهة أخرى تُعدّ مرآة لمرحلة حساسة من تاريخ الأمة الإسلامية.

خاتمة

خاتمة:

بعد مسار بحث متأنٍ في رسائل عماد الدين الأصفهاني، ومحاولة ربطها بالبعدين الفكري والحضاري، يمكن القول إن هذا العمل قد سعى إلى تجاوز النظرة الشكلية لأسلوب الرسائل، ليُبرز ما تنطوي عليه من مضامين فكرية ورؤى حضارية تعبّر عن روح العصر الأيوبي وتطلعاته، توصلنا إلى جملة النتائج أهمها:

1. غنى رسائل عماد الدين الأصفهاني بمضامين فكرية واضحة، تدلّ على ثقافة موسوعية وفهم عميق للمفاهيم الدينية والسياسية والاجتماعية، خاصة في علاقته بمشروع الدولة الأيوبية.
2. الأبعاد الحضارية في رسائله ظهرت جلية في تمجيد العلم، احترام العلماء، الإشادة بالعدل، ودعم فكرة الجهاد كجزء من مشروع حضاري وليس فقط عسكري.
3. الرسائل كانت وسيلة لتوجيه الرأي العام، ولم تكن فقط أدوات تواصل إداري، بل امتزجت فيها الدعاية السياسية بالفكر الديني والأدبي.
4. شخصية الأصفهاني لعبت دوراً محورياً في صياغة خطاب الدولة الأيوبية، حيث جمعت بين ثقافة واسعة وخبرة سياسية، ما جعله نموذجاً للأديب–السياسي.
5. الأسلوب الرسائلي عند الأصفهاني تميز ببلاغة عالية، توظيف محكم للألفاظ، واستدعاء مستمر للآيات القرآنية والحكم والأمثال، ما أعطى لرسالته بعداً تأثيرياً قوياً.

نصيحة للمقبلين على دراسة الموضوع:

أنصح الطلبة والباحثين المقبلين على دراسة رسائل عماد الدين الأصفهاني، أو الأدب الرسائلي بشكل عام، بما يلي:

- التحلي بالصبر والدقة أثناء جمع النصوص، نظراً لتوزعها في مصادر متعددة وصعوبة الوصول إلى بعضها.

- ضرورة الربط بين التحليل اللغوي والأسلوبي والمضمون الفكري، حتى لا يبقى البحث محصوراً في البلاغة والإنشاء دون الوصول إلى المعاني الأعمق.
- الاطلاع على الخلفية السياسية والتاريخية للعصر الأيوبي، لأنها مفتاح لفهم كثير من الرموز والدلالات في الرسائل.
- الحرص على التوثيق العلمي الدقيق، خاصة في ظل تعدد الروايات والنقول، وعدم التساهل في نقل المعلومات دون مراجعة نقدية.

ورغم ما توصّلنا إليه من استنتاجات أولية يتضح أن الموضوع محل الدراسة يحمل أبعادًا متعددة تستحق المزيد من التعمق والبحث، وأن هذه الدراسة تمثل خطوة أولى يمكن البناء عليها في أبحاث لاحقة.

وختامـًا، أرجو أن تكون هذه الدراسة لبنة مضافة في صرح البحث الأدبي والفكري، ومساهمة متواضعة في إبراز إحدى الشخصيات التي خدمت الأدب الإسلامي بموهبة قلّ نظيرها، هذا وما كان فيه صواب فمن الله وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ أو سهوا فمنا ومن الشيطان، وأسأل الله أن يغفر لنا ذلك إنه ولي التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

قائمة المصادر

1. ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، طبعة المكتبة الاسلامية إسطنبول، تركيا، ط2، ج2، مادة (فكر)، د.ت.
2. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الواحد على واقف، دار البيان العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1958.
3. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة جمال لطباعة والنشر، ج1، دت.
4. ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، (د، ت).
5. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط3، 1414ه، ج11، مادة "رسل" .
6. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ج14، دط، دت .
7. أبو الهلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي وزملائه، المكتبة العنصرية، بيروت، لبنان، 1419ه.
8. أحمد الإسكندري وآخرون، المفصل في تاريخ الأدب العربي، ج1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005م.
9. أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) مطبعة النهضة القاهرة، ط6، 1996.
10. أحمد الهاشمي، جواهر الادب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ج1، ط27، 1969م.
11. أحمد زكي صفوت. جمهرة رسائل العرب. ع العباسي الأول. دار المطبوعات العربية. القاهرة ج 3. ط 1. 1938.

12. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب ع الجاهلي ع الإسلام، دار المطبوعات العربية للنشر، القاهرة، ج1، ط1، 1937م.
13. أسماء عبد الرؤوف فن الرسائل في العصر العباسي، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، الدراسات العليا قسم الدراسات الادبية النقدية، 2009.
14. حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة مصر، ط1، 2002.
15. د. سمير مثنى علي الأبارة: تعريف الفكر، مقال بتاريخ: 2016|10|29، إطلع عليه بتاريخ 2025|03|02، متوفر على الرابط:
https://www.alukah.net/culture/0/108911/
16. الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، الدكتور حسين بيوض. منشورات وزارة الثقافة. دمشق سوريا. د.ط. 1992.
17. سلامة هليل عبد الغريب، الرسائل الفنية في العصر المملوكي.
18. سلامة هليل عبد الغريب، الرسائل الفنية في العصر المملوكي، دار حامد للنشر والتوزيع، أردن، عمان، ط1، 2024.
19. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت.
20. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1973.
21. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس القلقشندي، نسخة الطبعة الأميرية وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف، د.ت، د.ط.
22. عاهد طه عبد اللطيف عيال سلمان، أدب الحرب عند العماد الأصفهاني، جامعة مؤتة عمادات الدراسات العليا، درجة دكتوراه في الأدب، إشراف الأستاذ الدكتور سمير الدروبي، 2011.
23. العباس القلقشندي، كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب الخديوية، دار الكتب السلطانية، ج 10.

24. العماد الأصفهاني، محمد بن محمد، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر، تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج1.
25. عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2004.
26. فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1989.
27. الفتح بن علي البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق فتيحة النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر.
28. فن الرسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية، رشا فخري النحال، الجامعة الإسلامية . غزة . درجة الماجستير في الأدب والنقد، كلية الآداب قسم اللغة العربية، إشراف عبد الخالق محمد العف، 2013. 2014.
29. محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين دار الفاروق للنشر والتوزيع القاهرة مصر،2022، د ط.
30. محمد بن أبي بشر: مختار الصحاح، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان ط1، 2007.
31. محمد بن سعد بن منيع زهري، الطبقات الكبير، ج1.
32. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، مادة" رسل".
33. محمد حسن هيتو، الحضارة الإسلامية والحضارة المادية المعاصرة، دار الفارابي للمعارف، سوريان دمشق، ط1، 2011.
34. محمد لخضر بن ناجي، فن الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال دراسة فنية أسلوبية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، شهادة ماستر، أدب عربي قديم، إشراف محمد بن لخضر فورار،2014.2015.
35. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005.

36. نزهة حنون، ملامح الحضارة في فكر مالك ابن نبي، مجلة روافد، جامعة ام البواقي، الجزائر، مجلد06، عدد خاص، 2022.
37. وول ديورانت، قصة الحضارة، ج1، المجلد1، بيروت، لبنان، دار الجيل، زكي نجيب محفوظ.

الملخص

الملخص:

تناول بحثنا هذا البعد الفكري والحضاري في رسائل عماد الدين الأصفهاني، درسنا فيه أهمية فن الترسل ودوره الفكري والحضاري عبر العصور، مركزين على شخصية عماد الدين الأصفهاني الذي جمع بين البلاغة والسياسة والفكر، قد تمحورت الإشكالية حول السؤال التالي: كيف تجلت الأبعاد الفكرية والحضارية في رسائل عماد الدين الأصفهاني؟ وما مدى تأثير خلفيته الثقافية والسياسية على مضمونها؟

من أهداف الدراسة في هذا البحث:

أولًا: دراسة فن الترسل وتطوره في الأدب العربي.
ثانيًا: قراءة في الأبعاد الفكرية والحضارية في رسائل عماد الدين الأصفهاني.

أما فيما يخص المنهج المتبع فقد اعتمد البحث على منهجٍ مزجي، يجمع بين التحليلي الوصفي والمنهج التاريخي لفهم أبعاد النصوص في سياقها الزمني والثقافي.

وخاتمة أكدت أن أدب الرسائل ليس شكلًا فنيًا فحسب، بل مرآة فكرية وثقافية تعكس تحولات الفكر والمجتمع .كما بيّنت أن دراسة رسائل عماد الدين الأصفهاني تفتح آفاقًا لفهم أعمق لأدب المقاومة الإسلامية، وخاصة في زمن الحروب الصليبية.

الكلمات المفتاحية:

البعد الفكري والحضاري، الأدب الرسائلي، عماد الدين الأصفهاني، الوحدة الإسلامية، صلاح الدين الأيوبي، بيت المقدس، الحروب الصليبية.

Abstract:

This research addresses the intellectual and civilizational dimension in the letters of Imad al-Din al-Isfahani, focusing on the importance and role of the art of epistolography in shaping intellectual and cultural awareness across the ages. The study centers on the character of Imad al-Din al-Isfahani, who combined eloquence, politics, and thought. The central issue revolves around the following question:

How are the intellectual and civilizational dimensions manifested in the letters of Imad al-Din al-Isfahani? To what extent did his cultural and political background influence the content of these letters?

The study aims to achieve the following objectives:

First: To examine the art of epistolography and its development in Arabic literature.
Second: To analyze the intellectual and civilizational dimensions in the letters of Imad al-Din al-Isfahani.

The research adopts a mixed methodology, combining both analytical-descriptive and historical approaches, to understand the texts within their temporal and cultural context.

The study concludes that the art of epistolography is not merely a literary form but rather an intellectual and cultural mirror that reflects the transformations of thought and society. It also shows that the letters of Imad al-Din al-Isfahani open a deeper understanding of Islamic resistance literature, especially during the period of the Crusades.

Keywords:
Intellectual and civilizational dimension, epistolary literature, Imad al-Din al-Isfahani, Islamic unity, Saladin, Jerusalem, the Crusades.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

مقدمة..... أ-ج

الفصل الأوّل : فنّ الترسّل وتطوّره في الأدب العربي

تمهيد: 5

أولا: مفهوم الترسّل: 6

1- المعنى اللغوي: 6

2-المعنى الاصطلاحي: 7

ثانيًا: نشأة الرسالة في الأدب العربي..... 8

ثالثًا: أنواع الرسائل: 11

1- الرسائل الديوانية: 11

2- الرسائل الاخوانية: 12

3-الرسائل السياسية: 13

4- الرسائل الأدبية: 14

5-الرسائل الاجتماعية: 15

6- الرسائل الحربية: 16

رابعًا: أساليب الترسل عبر العصور. 17

1- فن الترسل في العصر الجاهلي: 17

2- فن الترسل في عهد الرسول(ص). 18

3- الترسل في عصر الخلفاء الراشدين. 20

خامسًا: الترسل في العصر الأموي 21

سادسًا: الترسل في العصر العباسي. 23

1- الرسائل الديوانية: 23

2 الرسائل الإخوانية: 23

3- خصائص الرسائل في العصر العباسي: 24

خلاصة: 26

الفصل الثاني: قراءة في الأبعاد الفكريّة والحضارية في رسائل عماد الدين الأصفهاني

تمهيد:.....28
أولاً: التعريف بشخصية عماد الدين الأصفهاني. 29
1.1 نسبه مولده ووفاته: 29
2.1 أعماله ومؤلفاته:.....30
ثانياً: البعد الفكري والحضاري في رسائل عماد الدين الأصفهاني.....31
1) مفهوم البعد: 31
2) مفهوم الفكرة: 32
3) مفهوم الحضارة: 34
ثالثاً: نمادج تطبيقية من رسائله.....36
1) الوحدة الإسلامية التفرقة والتعصب:.....36
2) الوعي بالصراع بين المسلمين والصليبيين:.....38
3) صورة البطل المسلم: 41
4) صورة بيت المقدس:.....43
5) وصف مصر مطلع البدور: 44
خلاصة:.....48
خاتمة: 50
قائمة المصادر والمراجع: 53
الملخص: 58
فهرس المحتويات: 61